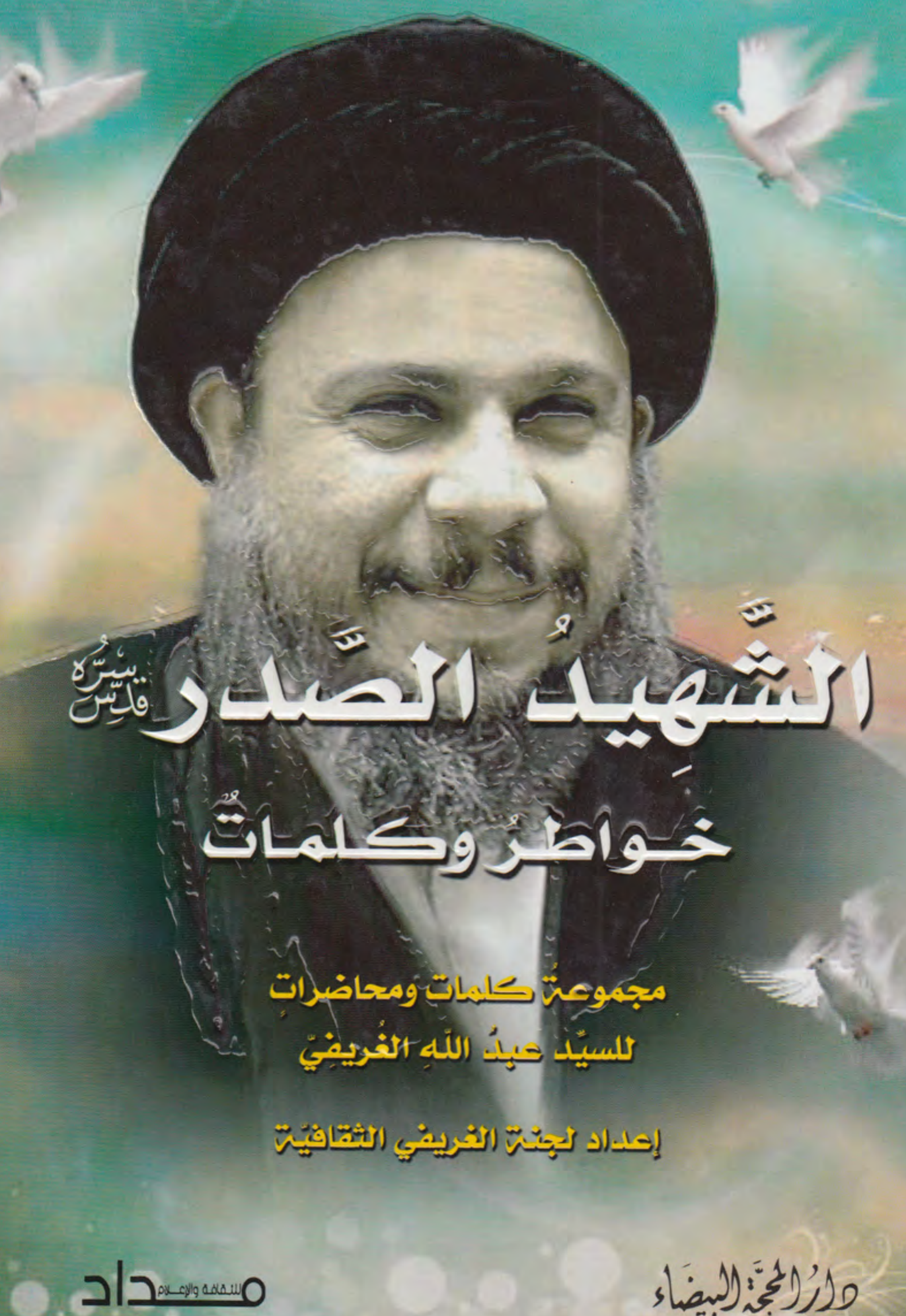

الشَّهِيدُ الصَّدرُ قدس سره
خواطرُ وكلماتٌ
مجموعةُ كلماتٍ ومحاضراتٍ
للسيِّد عبدُ اللهِ الغُريفِيّ
إعداد لجنة الغريفي الثقافيَّة
مداد للثقافة والإعلام
دار المحجة البيضاء

الشَّهِيدُ الصَّدرُ قدس سره
خواطرُ وكلماتٌ

مجموعةُ أحاديث وكلمات
للسَّيد عبد الله الغُريفيّ



إعداد
لجنة الغُريفي الثقافيَّة
www.alghuraifi.org



دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



مكتب سماحة العلامة السيد عبد الله الغريفي
هاتف: ١٧٤٠٣١٣٤-١٧٤٠٣١٣٤ - فاكس: ١٧٤٠٣١٣٠
الموقع الإلكتروني: www.alghuraifi.org
البريد الإلكتروني: lajna@alghuraifi.org
السهلة الشمالية - مملكة البحرين

مداد للثقافة والإعلام
MIDAD cultural coordination

مملكة البحرين - جد حفص - مجمع الهاشمي
ص.ب: 880 - تلفون: 0097317382842 - فاكس: 0097317382843



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

المحتويات



مقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين وأفضلُ الصّلواتِ على سيِّدِ الخلقِ محمدٍ وآلهِ الطيبين الطّاهرين...

إنّ أجيالًا امتدّت من بداية خمسينات القرن العشرين الميلاديّ وحتى هذا الزّمان (مَدِينَةٌ) بشكلٍ كبيرٍ جدًا لمدرسة الشهيد الصدر، ولجهاد الشهيدِ الصدر، ولدمِ الشهيد الصدر.

فمن الوفاء لهذا الرّجل العظيم الذي أعطى كلّ وجوده من أجلِ الإسلام، ومن أجل أجيال الإسلامِ أن تُجدِّد الأمّة ذكراه، وأن تعطيه حضورًا في كلّ واقعها الروحيّ والثقافيّ والاجتماعيّ والسياسيّ، وفي وجودها، فقد كان رضوان الله عليه الحاضر في كلّ قضاياها، وفي كلّ همومها، وفي كلّ طموحاتها.

مسألة أن يكون «الرّمز» حاضرًا في وعي الأمّة، وحاضرًا في وجدان الأمّة، وحاضرًا في حركة الأمّة، مسألة هامة جدًا.

وكيف يمكن أن نعطي للرّمز حضورًا في وعي الأمّة وفي وجدانها وفي حركتها؟

يكون الأمر كذلك حينما تكون الأمّة نفسُها حاضرةً في وعي الرّمز وفي وجدانه وفي حركته.

حينما تكون الأمّة غائبةً في وعي الرّمز وفي وجدانه وفي حركته، فمن الطبيعي جدًا أن يكون «الرّمز» غائبًا في وعي الأمّة وفي وجدانها وفي حركتها.

إنّها مسؤوليّة «الرّمز» أولًا، ثمّ تأتي مسؤوليّة الأمّة، (الرّمز، القائد، المرجع) مسؤولٌ أن يتحرّك في اتجاه الأمّة، قبل أن تكون الأمّة مسؤولةٌ أن تتحرّك في اتجاه (الرّمز، القائد، المرجع).

هناك مفهومٌ تكرّس عبر تاريخ طويل، هذا المفهوم يقول: إنّ العلماء، الرّموز هم المواقع الساكنة وأنّ النّاس هم الذين يجب أن يتحرّكوا في اتجاه تلك المواقع.

هذا المفهوم في حاجة إلى تصحيح، الآية القرآنيّة تقول: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ**﴾[1].

إنّ مسؤوليّة «الإنذار، التعليم، التفقيه» مسؤوليّةٌ متحركةٌ في اتجاه الأمّة، وليس مسؤوليّةً ساكنةً تنتظر الأمّة أن تتحرّك في اتجاهها.

---

(١) التوبة: الآية ١٢٢.

أليست سيرة الرّسول ﷺ أنّه «يُبلّغ، يُنذر، يتحرّك» وحسب تعبير الإمام عليّ عليه السلام في وصف الرّسول ﷺ أنّه «**طبيبٌ دوّارٌ بطبّه قد أحسن مراهِمَهُ**»[١].

شهيدنا الصّدر الأول كان نموذجًا للفقيه الحاضر في كلّ قضايا الأمّة، كانت الأمّة حاضرةً في وعيه، في وجدانه، في حركته، فليس غريبًا أن تبادله الأمّة حضورًا بحضوره، عاشت الأمّة في وعيه فأصبح في وعي الأمّة، عاشت الأمّة في وجدانه فأصبح في وجدان الأمّة، عاشت الأمّة في حركته فأصبح في حركة الأمّة.

هذا الكتيب هو تعبيرٌ عن جزءٍ بسيطٍ من وفاءِ الأمّة لرمزها الكبير الشهيد السيد محمد باقر الصدر، وهذا العمل المتواضع من تلميذٍ صغيرٍ من تلامذة الشهيد الصدر؛ هو تعبيرٌ عن جزءٍ بسيطٍ من وفاءِ التلميذ لأستاذه الكبير، وإن كنت لأخجلُ كلّ الخجلِ أن أزعم لنفسي هذا الانتساب لمدرسةٍ أنتجت تلامذة أثروا ساحةَ العلم والفكرِ والثقافةِ والدّعوةِ والجهادِ والشهادة، وإذا لم أكن أهلًا لهذا الانتساب، فحسبي أنيّ تشرّفت بعضَ الوقت بالمثول بين يديه، وبالحضور في مجلسه، وبالاستماع إليه، وبالنظر إلى وجهه المبارك، وكان في ذلك الزّاد الكبير الذي لا زلت أعيش عطاءَه ولذّتَه وبركاته وفيوضاته.

---

(١) نهج البلاغة: ص ١٥٦، الخطبة رقم: ١٠٨. (تحقيق صبحي الصالح، طبعة دار الهجرة، قم – إيران).

حينما تلتقي رجلًا ربّانيًّا في مستوى الشهيد السيّد محمد باقر الصدر لا تملك إلّا أن تغيب في عالمٍ من الروحانيّة تذكّرك بروحانيّة الأنبياءِ والأولياءِ، وكلّما تكرّر اللقاءُ معه كان الذوبانُ والانصهارُ أكثر، وكان الإنشدادُ والحبُّ أكبر.

الشهيد الصّدر يملك جاذبيّةً متميّزة، عندما يحدّثكَ يملأ عقلَك، ويملأُ روحَكَ، ويملأ قلبَك، ويملأُ وِجدانَك ويملأ كلّ وجودِك.

هذه خواطرُ عاجلةٌ أردتُ من خلالها أن أقتربَ - وعلى تهيّبٍ شديدٍ - من شخصيّة الشهيد السيّد الصّدر رضوان الله عليه.

أجد نفسي تملكني حيرةٌ كبيرةٌ وأنا أحاول أن اقرأ هذا الرجل العظيم، فهل اقرأه فقيهًا أو أصوليًّا، أو مفسّرًا، أو فيلسوفًا، أو أخلاقيًّا أو اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا أو تربويًّا، أو سياسيًّا أو مفكرًا أو كاتبًا أو باحثًا أو مرجعًا أو قائدًا أو... أو...؟

وهل أقرأه مشروعًا إسلاميًّا يختزن في داخله عناصر: الأصالة الفكريّة المتميّزة، والمكوّنات الإبداعيّة الفائقة، والكفاءات النفسيّة الكبيرة، والمنهجيّة العلميّة الواضحة، والعقليّة التجديديّة المتحرّكة، والشموليّة الموضوعيّة الواسعة، والصبغة الأخلاقيّة الصّادقة؟

وهل أقرأه التحدّي الحضاريّ المعاصر، الذي واجه زحف الإيديولوجيّات والتيّارات التي شكّلت خطرًا على الإسلام وعلى البنية المعرفيّة عند المسلمين - في خمسينات هذا القرن - هذا التحدّي

الذي أنقد وعي الأمّة في أشدّ مآزقه، وأصعبِ منعطفاته، وحصَّن فكر الأجيال ضدّ صياغات التغريب والاستلابِ والمصادرة؟

وهل... وهل... والمساحات لا زالت ممتدّةً وممتدّةً في داخل هذه الشخصيّة ممّا يضع القارئَ والدارسَ والباحثَ أمام حيرة الاختيار وحيرة الابتداء، وحيرة التعاطي، وحيرة الاقتحام.

دعونا نتجرّأ الكلام رغم هذا الموج من التساؤلات، وهذا الموج من الصعوبات.

أختار بعض عناوين في محاولةٍ سريعةٍ وموجزةٍ للتعريف بجانبٍ من جوانب العطاء في حياة الشهيد السيد الصدر، مؤكّدًا أنّني لست في صدد معالجةٍ علميّةٍ أو دراسةٍ منهجيّةٍ أو قراءةٍ نقديّة، هذا ما يؤكّد الحاجة إلى مؤتمراتٍ وملتقياتٍ فكريّةٍ وعلميّةٍ متخصّصةٍ تتناول شخصيّة الشهيد السيد الصدر بالبحث والدراسة، فأتمنّى على مؤسّساتنا الدينيّة والثقافيّة والسياسيّة أن تنهض بذلك.

ثمّ إنّ الدعوة إلى اللقاءات النخبويّة والتخصصيّة ليست بديلًا عن اللقاءات الشعبيّة الجماهيريّة، كون الأخيرة تشكّل ضرورةً لخلق التواصل بين الأمّة ورموز الوعي، وقادة الفكر ورجال الدّعوة، وكون الأخيرة تشكّل حاجةً لصوغ القاعدة التي تحتضن كلّ مشروعات التغيير والبناء، وكلّ مشروعات النهوض الروحيّ والثقافيّ والاجتماعيّ والسّياسيّ.



كيف نقرأ الشهيد الصدر ﷺ؟

لكي نفهم أيّ شخصيّةٍ لا بدّ أن نقرأها، ولكي يكون الفهم صحيحًا لهذه الشخصيّة يجب أن تكون القراءة صحيحة.

أن تقرأ أيّ إنسانٍ قراءةً خاطئة، أو قراءةً مبتورة، فإنّ هذا ينتج فهمًا خاطئًا وفهمًا مبتورًا لذلك الإنسان.

هناك صيغتان لقراءة الشهيد الصدر (الصيغتان ضمن القراءة الصحيحة طبعًا):

الصيغة الأولى: القراءة التجزيئيّة:

أن نقرأ الشهيد الصدر فقيهًا، أن نقرأه مُفسّرًا، أن نقرأه أخلاقيًّا، أن نقرأه أصوليًا، أن نقرأه فيلسوفًا، أن نقرأه اقتصاديًّا، أن نقرأه سياسيًّا، أن نقرأه باحثًا اجتماعيًّا، أن نقرأه مفكّرًا، أن نقرأه كاتبًا، في هذه الصيغة تُحاول القراءة أن تُطلّ على بعدٍ من أبعاد تكوّن وتشكّل الشهيد الصدر رضوان الله عليه.

الصيغة الثانية: القراءة الشموليّة:

أن نقرأ الشهيد الصدر مشروعًا شاملًا، يحتضن مجموعة مكوّناتٍ متكاملة، في هذه الصيغة تحاول القراءة أن تتجاوز الأبعاد الجزئيّة إلى المضمون الشمولي الذي تتلاحم في داخله تلك الأجزاء.

لا شكّ أنّ فهم الشهيد الصدر يفرض الحاجة إلى كلٍّ من القراءتين.

فالقراءة التجزيئيّة تضعنا أمام المكوّنات التفصيليّة لشخصيّة الصدر، ولا يمكن أن نتوفّر على القراءة الشموليّة ما لم تتكوّن لدينا رؤية واضحة عن الأبعاد والمكوّنات.

والقراءة الشموليّة هي الأخرى ضروريّة جدًا؛ كونها تعطي المضمون الأوسع والأشمل في فهم شخصيّة الشهيد الصدر.

وإنّ غياب هذه القراءة يضعنا أمام رؤيةٍ تجزيئيّةٍ غير قادرةٍ على استيعاب الصورة الكاملة لشخصيّة الشهيد الصدر.

وإذا حاولنا أن نلقي نظرة تقويميّة على ما تمّ إنجازه من قراءات ودراسات حول شخصيّة الصدر، فإنّنا سوف نجد أنّ الاتجاه التجزيئيّ هو الطّاغي على هذه القراءات والدراسات، رغم أنّها لا زالت لا تناسب كمًّا ونوعًا مع الحجم الكبير لهذه الشخصيّة، ولستُ هنا في صدد التقويم والنقد لهذه الدراسات، وأتمنّى لو نتوفّر على قراءةٍ تقويميّةٍ ونقديّةٍ لما صدر من كتاباتٍ ودراساتٍ تناولت شخصيّة الشهيد الصدر.

ما أحاول أن أتناوله في هذا الطرح المتواضع والذي يعبّر عن مساهمةٍ صادقةٍ في الوفاء للشهيد الصدر، وكم هي الأمّة مدينةٌ لهذا الإنسان الكبير الذي أعطى كلّ وجوده من أجل الإسلام، ومن أجل

هـذه الأمّـة المنتمية إلى الإسـلام، فمن الوفـاء أن تجدّد الأمّة ذكرى الشهيد الصدر، ومن الوفاء أن نعطي للشهيد الصدر حضوره في كلّ واقعنا الروحيّ والثقافيّ والاجتماعيّ والسياسيّ، فقد كان الحاضر في كلّ قضايا الأمّة وفي كلّ همومها وفي كلّ طموحاتها.

أقول ما أحاول أن أتناوله هنا هو التأسيس لقراءةٍ شموليّةٍ تفهم الشهيد الصدر مشروعًا تغييريًّا كبيرًا.

فكيف نؤسّس لهذه القراءة الشموليّة؟ وكيف نحاول أن نكتشف مكوّنات هذا المشروع التغييريّ الكبير؟

إنّ الشهيد الصدر ومن خلال رؤيةٍ واعيةٍ بكلّ المتغيّرات في واقع الأمّة، ومن خلال فهمٍ مستوعبٍ لكلّ حيثيّات المشروع المناهض للإسلام، والذي استطاع النفوذ إلى أهم المفاصل في مجتمعات المسلمين، وقد نجح هذا المشروع في تشكيل صياغاته التغريبيّة حيث هيمن على:

- الواقع السياسيّ.
- الواقع الثقافيّ.
- الواقع التعليميّ.
- الواقع الاقتصاديّ.
- الواقع الإعلاميّ.

وأصبحت أجيال المسلمين محكومةً لهذه الصياغات التغريبيّة بكلّ امتداداتها السياسيّة والثقافيّة والتعليميّة والاقتصاديّة والإعلاميّة، وتكوّنت النخب السياسيّة والثقافيّة المتغرّبة، وأخذت تمارس دور التأصيل والحماية للمشروع المناهض للإسلام.

وقد تصدّى لهذا المشروع عددٌ من العلماء والمفكّرين والمثقّفين الإسلاميّين، وبأساليب متنوعةٍ ومتعدّدة، أخذت شكل المواجهات الفكريّة على مستوى الكتابات التي تعرّف بالإسلام، وتردّ على شبهات الغرب ضدّ الإسلام، وشكل التنظيمات السياسيّة التي حاولت إعادة الواقع السياسيّ للإسلام، وشكل الجمعيّات الثقافيّة التي تصدّت لمؤسسات التغريب، وشكل المدارس الأهليّة الدينيّة التي ساهمت في حماية أجيال المسلمين.

ورغم هذا التنوّع في أساليب التصدّي للمشروع التغريبيّ المناهض للإسلام، إلّا أنّه لم يتأسّس مشروعٌ متكاملٌ يعتمد الإسلام في مواجهة المشروع المضادّ.

من هنا كان الشهيد الصدر رضوان الله عليه يفكّر في صياغة هذا المشروع الإسلاميّ التغييريّ، في مواجهة المشروع التغريبيّ المناهض للإسلام، وقد توفّر الشهيد الصدر على مجموعة مكوّناتٍ أهلّته أن يكون بمستوى التصدّي لصياغة هذا المشروع، ولعلّ من أهمّ هذه المكوّنات:

- الأصالة الفكريّة المتميّزة التي تشكّل عقليّة الشهيد الصدر في كلّ معالجاته وأطروحاته، وفي كلّ رؤاه وتصوّراته، كان الشهيد الصدر يتعاطى بعمقٍ مع مصادر الفكر الإسلاميّ المتمثّلة في القرآن الكريم والسنّة النبويّة، وسنّة الأئمّة من أهل البيت ﭺ، وكان يملك وعيًا بتاريخ الرسالة وما يحتضنه هذا التاريخ من معطياتٍ أساسيّة، ولا شكّ أن تاريخ الرسالة ومعطياته تُشكّل رافدًا هامًا من روافد الفكر، يُضاف إلى ذلك توفّر الشهيد الصدر على رؤيةٍ ناضجةٍ بكلّ التراث الفكريّ الذي أنتجه العقل الإسلاميّ في المراحل التاريخيّة المتعدّدة وهكذا تكوّنت (الأصالة الفكريّة) عند الشهيد الصدر.
- القدرات العقليّة والعلميّة الفائقة عند الشهيد الصدر، ممّا وفّر له إمكاناتٍ غير عاديّةٍ في فهم الإسلام، وفي فهم كلّ المشروعات المناهضة للإسلام، وفي التصدّي لصياغة المشروع الإسلاميّ التغييريّ بكلّ كفاءةٍ وجدارة.
- الكفاءات النفسيّة الكبيرة التي أهلّت الشهيد الصدر على مستوى المشروع التغييريّ، فقوّة الشخصيّة، وصلابة الإرادة، والقدرة على الصبر وتحمّل المعاناة، والثّقة بالنفس، والأمل والطموح والتفاؤل، والحركيّة، والفاعليّة، والهادفيّة، كلّها عناصر ساهمت في التأهيل والإعداد عند الشهيد الصدر.

- الإمكانات التعبيريّة المتميّزة، فالشهيد الصدر كاتبٌ من الطراز الأول، الأمر الذي أتاح له القدرة على صياغة مشروعه بكلّ دقّةٍ ووضوحٍ، ولم يعتمد على تلامذته في كتابة المشروع.
- العقل المنهجيّ عند الشهيد الصدر، تميّز التفكير عند الشهيد الصدر بمنهجيّةٍ واضحة، وقد تجسّدت هذه المنهجيّة في كلّ أطروحاته الفكريّة، وفي كلّ نتاجاته العلميّة، وفي كلّ معالجاته الاجتماعيّة، وفي كلّ أبحاثه الفقهيّة والأصوليّة، وفي كلّ محاضراته الأخلاقيّة والتاريخيّة والقرآنيّة، وكان لهذا العقل المنهجيّ عند الشهيد الصدر دوره الكبير في إنتاج المشروع التغييريّ وصياغة مكوّناته. العقل التجديديّ عند الشهيد الصدر، على مستوى المنهج وعلى مستوى الأفكار والنظريّات، ومن الواضح أنّ الشهيد الصدر ومن خلال نتاجاته، ومن خلال مشروعاته في داخل الحوزة وفي خارجها، قد اعتمد التجديد والتطوير، ولم يتجمّد عند الموروثات المتحكّمة في مسارات الواقع الثقافيّ والاجتماعيّ والحوزويّ.

وأخيرًا يجب أن لا ننسى أنّ المكوّن الأقوى في شخصيّة الشهيد الصدر هو (الإخلاص المنقطع النظير لله تعالى)، فلم ينطلق في أيّ عملٍ من الأعمال بدوافع شخصيّةٍ أو نفعيّةٍ، ولذلك كان التسدّيد الربّانيّ يلازمه دائمًا.

جاء في حديثٍ للشهيد الصدر حول كتابه (فلسفتنا): «حينما طبعت الكتاب لم أكن أعرف أنّه سيكون له هذا الصيت العظيم في

العالم، والدويّ الكبير في المجتمعات البشريّة ممّا يؤدّي إلى اشتهار من ينسب إليه الكتاب، وأنا الآن أُفكّر أحيانًا أنّي لو كنت مطّلعًا على ذلك وعلى مدى تأثيره في إعلاء شأن مؤلّفه لدى النّاس، فهل كنت مستعدًّا لطبعه باسم جماعة العلماء وليس باسمي كما كنت مستعدًّا لذلك أو لا؟ وأكاد أبكي خشية أنّي لو كنت مطلعًا على ذلك لم أكن مستعدًّا لطبعه بغير اسمي»(١).

درسٌ كبيرٌ أتمنّى لو نستوعبه جميعًا، «إنّ العبد ليُنشر له من الثّناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة»(٢).

وكان لهذا العقل التجديديّ دوره الفاعل في صياغة المشروع التغييريّ الذي نهض به الشهيد الصدر.

(١) الحائري: مباحث الأصول ج١ من القسم الثاني، ص ٤٥، ذكريات من حياة شهيدنا الصدر. (ط١، ١٤٠٧هـ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم – إيران).

(٢) العجلوني: كشف الخفاء: ج١ / ٢٢١، ح٦٧٣.(ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان).



سيرة الشهيد
السيد محمد باقر الصدر قدس سره

النسب الشريف:

آل الصدر شجرةٌ طيّبة مباركة يمتدّ نسبها إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سابع الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، ومنه يتصل النسب إلى سيد الأنبياء محمدٍ صلى الله عليه وآله.

وممّا يميّز سلسلة النسب لشهيدنا الصدر الموصولة بالإمام الكاظم عليه السلام أنّها سلسلةٌ لا تضمّ إلّا مجتهدًا أو عالمًا فاضلًا، وهي ميزة قلّما تتوافر لأسرةٍ من الأسر...

آل الصدر: وهي من الأسر العريقة في التاريخ الإسلاميّ التي تمتدّ جذورها عبر مئات السنين، وكانت باستمرارٍ مشعلًا من مشاعل العلم والهداية، وكانت تسمّى أسرة (آل شرف الدين) وقد برز من هذه الأسرة في العصر الحديث عدّةٌ من أعلام الإسلام في العراق، وفي إيران وفي لبنان، منهم السيد صدر الدين الصدر في قم، والمرحوم السيد محمد الصدر الذي ساهم في قيادة ثورة العشرين ضدّ الإنكليز في العراق، والإمام السيد موسى الصدر في لبنان (الذي غُيّب في بدايات انتصار الثورة الإسلاميّة، حيث قدّمت له دعوة لزيارة

ليبيا، والمشاركة في احتفالات ثورة الفاتح، وتوجّه إلى ليبيا مع اثنين من مرافقيه واختفى خبره إلى الآن)، والمرحوم الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين في جبل عامل الذي ساهم في حرب التحرير ضدّ الاستعمار الفرنسي (صاحب المراجعات).

ولادته ونشأته:

شهيدنا الصدر ولد في مدينة الكاظميّة، وفي كنف جدّه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكانت ولادته في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٥٣هـ المصادفة لسنة ١٩٣٥م[١].

والده: آية الله السيد حيدر الصدر، عالمٌ فاضلٌ جليل القدر، يمتلك درجةً عاليةً جدًا من الزهد والتقوى وسموّ الأخلاق.

والدته: العابدة التقيّة الصابرة بنت المرحوم آية الله الشيخ عبد الحسين آل ياسين.

نشأ السيّد الصدر يتيمًا، فقد مات والده السيّد حيدر الصدر وهو في السنوات الأولى من عمره، وهكذا شابه جده رسول الله ﷺ حياة اليتم والفقر وضنك العيش.

احتضنت رعايته والدته العابدة التقيّة بنت آية الله الشيخ عبد الحسين آل ياسين وهو من أعاظم الفقهاء، وقد عُرف عن والدة

(١) العاملي: محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، ج١، ص٩٥. (ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت - لبنان).

الشهيد الصدر أنّها مثالًا عاليًا للتقوى والورع، كانت شديدة الحبّ لله تعالى ولرسوله ولأهل بيته ﷺ، كانت لا تفارق القرآن تتلوه آناء الليل وأطراف النّهار، وكانت دائمة الذكر لله تعالى لا يفتُر لسانها عن التسبيح والتحميد والاستغفار وقد تحمّلت الكثير الكثير من المعاناة حيث عاشت مع الشهيد الصدر أيام المحنة الصعبة وأيام الحصار الأخير، وكانت صابرة محتسبة...

في هذا الكنف الطاهر المبارك ترعرع ونشأ السيّد الصدر، ويجب أن لا ننسى دور أخيه الأكبر آية الله السيّد إسماعيل الصدر فقد أولاه الكثير من الرعاية والاهتمام ممّا خفّف عنه آلام اليتم وقسوة الحياة.

خلّف الشهيد الصدر ولدًا واحدًا هو السيّد محمد جعفر الصدر يشتغل الآن بالدراسة الحوزويّة في قم المقدّسة، كما خلّف الشهيد الصدر خمس بناتٍ طاهراتٍ نقيّات.

النبوغ المبكر عند الشهيد السيد الصدر:

من القصص التي تعبّر عن نبوغه المبكر - بحسب ما جاء في كتاب (شهيد الأمّة)[1] - أنّه لمّا بلغ العاشرة من عمره تجاذبه في داخل الأسرة اتجاهان: اتجاهٌ يحثّه على التوجّه نحو الدراسة الحوزويّة،

---

(١) النعماني: شهيد الأمّة وشاهدها، ج١: ص٥٢. (ط١، ١٤٢١هـ، المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، قم- إيران).

وكانت والدته تتبنّى هذا الاتجاه، واتجاهٌ يرغّبه في مستقبلٍ يضمن فيه سعادة دنياه والعيش في رفاهٍ ودعةٍ بعيدًا عن حياة الحوزة وما يكتنفها من فقرٍ وفاقة، وكان يتبنّى هذا الاتجاه المرحوم السيد محمد الصدر، أحد شخصيّات الأسرة الكبار، وكان رئيسًا للوزراء ولمجلس النّواب في حكوماتٍ متعاقبةٍ في العراق.

أمّا السيد الصدر فقد حسم الموقف، إذ أضرب عن الطعام من دون إعلان، واكتفى من الطعام بقطعةٍ صغيرةٍ من الخبز يسدّ بها رمقه طوال الليل والنّهار، وبعد أيامٍ أَحسّ الجميع بالإضراب الهادئ، فسألوه عن السبب، فأجاب الصدر ابن العاشرة من العمر: **(إنّ الذي يستطيع أن يعيش على قطعةٍ صغيرةٍ من الخبز أيامًا عدّة قادرٌ على أن يستمرّ إلى آخر العمر كذلك، فأنا لا أخشى من الفقر ولا أخاف من الجوع...).**

وهكذا استطاع أن يحدّد خياره عن قناعةٍ وإصرارٍ واستعداد لتحمّل كلّ الأتعاب والمعاناة، ما دام هذا الخيار يمثّل انخراطًا في صفوف ورثة الأنبياء.

ومن مظاهر النبوغ المبكّر عند السيد الصدر ما تحدّث به أحد المعلّمين في مدرسة منتدى النشر الابتدائيّة التي التحق بها السيد الصدر قبل أن يتفرّغ للدراسة في الحوزة.

قال هذا المعلّم وهو يتحدّث عن السيد الصدر الطالب الصغير في مدرسة منتدى النشر: (أحببت أن أتعرّف أكثر على هذا الطفل...

وشاءت الصدف أن أنفرد بالسيد المدير فاستوضح منه عمّا كان يشغل تفكيري بشأن هذا الطفل، فأجابني: أرجو أن ترعاه كما يرعاه زملاؤك من الهيئة التدريسيّة، فقد سبق وأن أوصيتهم به خيرًا لأنّني أتوسّم فيه أن يكون له مستقبلٌ كبيرٌ باعثٌ على التفاخر والاعتزاز بما يقوم به، والدرجة العلميّة التي أترقب أنّه سيصلها ويبلغها...).

وواصل هذا المعلم حديثه عن السيد الصدر قائلًا: (وقد كان طفلًا يحمل أحلام الرجال ويتحلّى بوقار الشيوخ، وجدت فيه نبوغًا عجيبًا ونكاءً مفرطًا، يدفعانك إلى الاعتزاز به ويرغمانك على احترامه وتقديره، كما شاهدت كلّ المدرسين أيضًا يكنّون له هذا الاحترام وهذا التقدير.

لقد كان كُلّ ما يُدرَّس في هذه المدرسة من جميع العلوم دون مستواه العقليّ والفكريّ... كان شغوفًا بالقراءة، محبًّا لتوسيع دائرة معرفته، ساعيًا بجدٍ إلى تنمية مداركه ومواهبه الفذّة.

كان لا تقع عيناه على كتابٍ إلا وقرأه وفَقِهَ ما يحتويه في حين يعزّ فهمه على كثيرٍ ممّن أنهوا المرحلة الثانويّة.

ما طرق سمعه اسم كتاب في أدبٍ أو علمٍ أو اقتصادٍ أو تاريخٍ إلّا وسعى إلى طلبه... كان يقرأ كلّ شيء، وقد حدّثني أحد الزملاء ممّن كان لديهم إلمامٌ بالماركسيّة واطلاع على كثيرٍ من الكتب التي كُتِبَت فيها قائلًا لي: لقد جاءني يومًا مبديًا رغبته في أن يقرأ بعض الكتب الماركسيّة ونظريّاتها ليطّلع على مكنونات هذه النظريّة، تردّدت

في بادئ الأمر في إرشاده إلى ذلك لأنّه طفل، وخشيت أن تتشبّع أفكاره بالماركسيّة ونظريّاتها، وبعد إلحاحٍ منه شديد، ولمّا كنت لا أحبّ ردّ طلبه، أرشدته إلى بعض المجلات والكتب المبسّطة في كتابتها عن الماركسيّة وفي عرضها لها، وقد أخذت على عاتقي تهيئة ما تيسّر لي من هذه المجلات والكتب وهي نادرةٌ وعزيزةٌ لأنّها كانت آنذاك من الكتب المحرّم بيعها في المكتبات، وبعد أن تسلّمها منّي تهلّل وجهه فرحًا ثمّ أعادها إليّ بعد أن قرأها، مكرّرًا طلبه أن أجد له كتبًا أكثر موضوعيّةً وأعمق شرحًا وعرضًا لآراء الماركسيّة، فهيأت له ما طلب، وكنت أظنّ أنّه سوف لا يفقه منها شيئًا، لأنّني أنا نفسي على رغم مطالعتي الكثيرة في هذا الموضوع أجد أحيانًا صعوبةً في فهمها، وبعد مدّة أسبوعٍ واحدٍ أعادها إليّ وطلب غيرها).

وأضاف المدرّس قائلًا: (أحببت أن أعرف ما الذي استفاده هذا الطفل من قراءته لهذه الكتب، وإذا به يدخل في شرح الماركسيّة طولًا وعرضًا، فأخذت عن شرحه لها كلّ ما غمض عليّ معناه عند قراءتي لها، فعجبت لهذا الطفل المعجزة وهو لمّا يزل في المرحلة الثالثة من الدراسة الابتدائيّة، وقد زاد في اطمئناني عندما راح يشرح لي أنّه كان يأتي على مناقشة كلّ رأي على حدةٍ مناقشة العالم المتبحّر في العلم، فاطمأننت أنّه لم يتأثّر بالماركسيّة مطلقًا، وأنّه كان يقرأها كناقدٍ لا كدارسٍ لها...). انتهى ما أوردناه من حديث أحد معلّميه، وكما جاء في (شهيد الأمّة)[1].

---

(١) النعماني: شهيد الأمّة وشاهدها، ج١: ص٥٨ – ٦٠.

ومن شواهد النبوغ عند السيد الصدر: أنّه درس أكثر أبحاث السطح العالي بلا أستاذ، وفي الحادية عشرة من عمره كتب رسالة في المنطق، ومنذ بلغ الحلم كان لا يقلّد، إذ وجد في نفسه القدرة على الاجتهاد.

حياته العلميّة:

بدأ حياته العلميّة والعمليّة وهو في عقده الأول، فكان وهو ابن عشر سنوات يُلقى محاضراتٍ في مختلف المواضيع التاريخيّة والإسلاميّة، كما أنّه أتقن كثيرًا من مقدّمات العلوم في هذه المرحلة، وفي الحادية عشرة درس علم المنطق وألّف كتابًا في المنطق.

وكان توقُّد ذهنه يجعله قادرًا على فهم أكثر كتب المقدّمات والسطوح بدون مدرّس.

هاجر سماحة السيد الصدر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٦٥هـ، وعكف على دراسة الفقه والأصول ومختلف العلوم الإسلاميّة، وكان يبذل كلّ وقته في مجالات الجهد العلميّ حتى استطاع أن يصل إلى درجة الاجتهاد المطلق وهو في أواخر العقد الثاني من عمره.

وقد بدأ بكتابة موسوعةٍ في علم الأصول تُمثّل آراءه تحت اسم «غاية الفكر» في سنة ١٣٧٠هـ.

وقد شرع السيد الصدر في تدريس الخارج من علم أصول الفقه، وهو المرحلة العليا من تدريس هذا العلم في اليوم الثاني عشر

من ربيع الثاني سنة ١٣٧٨هـ، وقد انتهى من الدورة الأولى في اليوم الثاني عشر من ربيع الثاني سنة ١٣٩١هـ، وبدأ بتدريس الدورة الثانية من علم الأصول في العشرين من شهر رجب سنة ١٣٩١هـ.

كما بدأ تدريسه العالي (الخارج) للفقه على متن العروة الوثقى في سنة ١٣٨١هـ.

المجاهدة الشهيدة بنت الهدى

وهي شقيقة الإمام السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه، وشريكته في الجهاد والدعوة إلى الله...

نشأت المجاهدة بنت الهدى في بيت عُرف بعراقته العلميّة، وفي أسرةٍ طاهرةٍ زكيّةٍ، وهي أسرة آل الصدر، هذه الأسرة التي خرّجت الفقهاء والعلماء المجاهدين.

وقد وجدت المجاهدة بنت الهدى في كنف شقيقها الإمام السيد محمد باقر الصدر ما ملأ حياتها بروح الجهاد والعمل في سبيل الإسلام، وما فتّق طاقاتها الكبيرة في مجال الدعوة إلى الله ونشر المفاهيم الإسلاميّة.

قضت المجاهدة بنت الهدى حياتها في عملٍ دائبٍ مستمرّ، تدعو إلى الإسلام، وتُربّي فتيات الجيل، وتكتب وتُؤلّف، وتُحاضر وتُبلّغ، وبذلك أصبحت بنت الهدى واحدةً من المجاهدات المسلمات اللواتي حفل بهنّ تاريخ الإسلام بدءًا بخديجة وفاطمة الزّهراء، وزينب بطلة كربلاء ومرورًا بالكثيرات ممّن قدّمن حياتهنّ فداءً للمبدأ والعقيدة.

إنّ العمل الإسلاميّ في العراق يُسجّل للمجاهدة بنت الهدى دورًا كبيرًا وبارزًا، وقد استطاعت أن تخلق جيلًا مؤمنًا واعيًا

مجاهدًا من فتيات العراق، هذا الجيل الطليعيّ الذي وقف بصمودٍ في وجه تيّار التغريب للمرأة المسلمة، وفي وجه كلّ محاولات التذويب لشخصيّة المرأة وكرامتها وعفّتها.

كانت المجاهدة بنت الهدى تُشرف على عدّة مدارس دينيّة للبنات في النجف الأشرف وفي بغداد، وقد تخرّج عن هذه المدارس الكثيرات من المؤمنات الرساليّات العاملات في سبيل الإسلام والقرآن.

وبرزت المجاهدة بنت الهدى في عالم الكتابة والتأليف، فأغنت المكتبة الإسلاميّة بعددٍ كبيرٍ من كتاباتها الإسلاميّة الناضجة التي برهنت على قدرةٍ علميّةٍ راقية، وعلى قابليّةٍ أدبيّةٍ فائقة، فكتاباتها تأخذ غالبًا، أسلوب القصّة، الأمر الذي جعل هذه الكتابات تستقطب أبناء الجيل وبنات الجيل، لما تحويه من طرحٍ لأفكار الإسلام ومفاهيم العقيدة بلغةٍ قصصيّة رائعة شيّقة، مع عمقٍ ونضجٍ في الطّرح والتحليل.

ويمكن أن نُشير هنا إلى ما يحضرنا من بعض كتابات هذه المجاهدة الكبيرة:

١- الفضيلة تنتصر.

٢- ليتني كنت أعلم.

٣- امرأتان ورجل.

٤- لقاء في المستشفى.

٥- الخالة الضائعة.

وغيرها من المؤلّفات الكثيرة التي برهنت على كفاءتها العلميّة، وقدراتها الأدبيّة، ووعيها الإسلاميّ العميق.

فهي المرأة العظيمة التي أعطت كلّ وجودها للإسلام، كانت عالمة، مفكّرةً مثقّفة، أديبة، وقد برهنت كتاباتها ونتاجاتها على هذا المستوى الكبير من العلم والفكر والثقافة والأدب، والذي وظّفته في خدمة الإسلام، والدفاع عن مبادئ الدين وقيم القرآن..

وكانت رضوان الله عليها المربّية الكبيرة التي استطاعت أن تنتج جيلًا مؤمنًا واعيًا من بنات الإسلام، فالجيل الطليعيّ من بنات العراق ومن نساء العراق، هذا الجيل الذي برهن على كفاءته الإيمانيّة، وعلى قدراته الرساليّة، وعلى دوره الفاعل في العمل للإسلام والجهاد من أجل الدين، هذا الجيل النسويّ الطليعي كان من صنع الشهيدة بنت الهدى رضوان الله عليها.

ولم يقتصر جهاد السيّدة آمنة الصدر بنت الهدى على العمل الثقافيّ والتربويّ والتبليغيّ بل أمتدّ ليشمل العمل السياسيّ فكانت شريكة أخيها السيّد الصدر في الانطلاق بالإسلام ليواجه كلّ تحدّيات العصر، وفي الانطلاق بالإسلام ليواجه كلّ الواقع الثقافيّ والاجتماعيّ والسياسيّ، وفي الانطلاق بالإسلام ليواجه نظام الظّلم والقهر والاستبداد في العراق، وكانت النتيجة أن سقط السيّد الصدر شهيدًا في هذا الطريق وسقطت السيّدة آمنة الصدر شهيدةً في هذا الطريق.

استشهادها:

استشهدت السيدة المجاهدة بنت الهدى مع شقيقها الإمام المجاهد السيد محمد باقر الصدر في يوم الثلاثاء ٢٢ شهر جمادى الأولى سنة ١٤٠٠هـ المصادف ٨ / ٤ / ١٩٨٠م.

محطاتٌ من حياة الشهيد الصدر ﭫ

الشهيد السيد الصدر شخصيّةٌ جذّابةٌ...

تقرأ له فتنجذب إليه جذبًا، أنا قرأت له قبل أن أراه، قرأت له وأنا طالبٌ في المرحلة الثانويّة في بدايات الستّينات وكنت أجد نفسي مشدودًا إليه بقوّة، مشدودًا إلى فكره، إلى مدرسته، إلى منهجه، إلى لغته إلى روحانيّته المتدفّقة بين كلماته، إلى رساليّته التي تنبض بها كلّ كتاباته.

وأمّا إذا رأيته وجالسته فالانجذاب أكبر وأكبر، والإنشداد أقوى وأقوى، فأنت ترى نفسك أمام عالمٍ يملأ كلّ عقلك وفكرك وقناعاتك..

أمام فقيهٍ متميّز..

أمام مفكرٍ عملاق..

أمام إنسانٍ ربانيٍّ تأسرك ربّانيّته..

أمام إنسانٍ رَوحاني تغمرك روحانيّته..

فلا تملك إلّا أن تنجذب إليه، ولا تملك إلّا أن تذوب فيه حبًّا وعشقًا وانصهارًا..

لا أتحدّث خيالاً وأوهامًا..

أنا عشت تجربة الجلوس بين يديه، واستمعت إلى كلماته، وهو يتحدّث حديث المربّي والموجّه والمعلّم، وحديث الأب الحنون الشغوف وحديث الأستاذ العارف البصير.

لا أظنّ أحدًا يلتقيه مرةً واحدة، إلّا ويبقى مبهورًا مشدودًا منجذبًا..

ما سرّ هذا الجذب في شخصيّة الشهيد الصدر؟

- هل هو مجرّد العلم والفكر والثقافة؟

كثيرون يملكون العلم والفكر والثقافة ولا تجد نفسك تنجذب إليهم هذا الانجذاب؟

- هل هو القدرة المتميّزة في الحديث والكلام؟

ربّما يكون لذلك تأثير، ولكنّ الكثيرين يملكون هذه القدرة ولا تجد نفسك تنجذب إليهم هذا الانجذاب..

- هل هو التواضع والأريحيّة والابتسامة الدائمة واللغة الحانية..

ربّما يكون لذلك تأثير.. إلّا أنّ للجذب سرًا أعمق وأعمق..

- إنّه «الربّانيّة والروحانيّة» المتجذّرة في شخصيّة السيد الصدر رضوان الله عليه..

ليست ربّانيّة وروحانيّة متصنّعة ومتكلّفة وكاذبة ومرائية، إنّها الربّانيّة والروحانيّة الصادقة التي أصبحت جزءًا في كينونته، وملكةً في طباعه وأخلاقه وسلوكيّاته.

ونلحظ ذلك من خلال المحطّات التالية:

المحطّة الأولى: خشوعه وانقطاعه إلى الله تعالى في العبادة:

تجلّت الربّانيّة والروحانيّة خشوعًا وانقطاعًا إلى الله تعالى في عباداته رضوان الله عليه.

يُحدّثنا الشيخ النعمانيّ وهو من المرافقين للشهيد الصدر رضوان الله عليه عن هذه الظاهرة فيقول: «فكان – يعني السيد الصدر– في أحيانٍ كثيرةٍ يجلس في مصلّاه فكنت أجلس خلفه، وقد دخل وقت الصّلاة، بل قد يمضي على دخول وقتها أكثر من نصف ساعةٍ والسيد جالسٌ مطرقٌ برأسه يفكّر، ثمّ فجأةً ينهض فيؤدّي الصّلاة، هذه الأمور وغيرها دفعتني في يوم من الأيام للاستفسار منه عن سبب هذه الظاهرة.

فقال رضوان الله عليه: «**إنّي آليت على نفسي منذ الصغر أن لا أُصلّي إلّا بحضور قلبٍ وانقطاع، فاضطّر في بعض الأحيان إلى الانتظار حتى أتمكّن من طرد الأفكار التي في ذهني حتى تحصل لي حالة الصفاء والانقطاع وعندها أقوم للصّلاة**»[1].

هكذا كانت حالة الشهيد الصدر في صلاته وفي دعائه وفي تلاوته للقرآن، انقطاعٌ تامٌّ إلى الله تعالى، وذوبانٌ وانصهارٌ وخشوعٌ وتضرّع، إنّه التجسيد الحيّ لقوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝

---

(١) النعماني: الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص ١٢١. (ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، المطبعة العلمية، قم - إيران).

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[١]، القرآن يتحدّث عن نمطين من الصّلاة:

١- صلاة الخاشعين.

٢- صلاة الكسالى.

يقول الشيخ النعمانيّ: «ولم تكن هذه الحالة خاصّة بالصّلاة فقط، بل كانت تمتدّ إلى كلّ أشكال وصور العبادة الأخرى، ولقد سمعته خلال فترة الحجز - ولم أسمعه قبل ذلك - يقرأ القرآن في أيام وليالي شهر رمضان بصوتٍ حزينٍ وشجي، ودموعٍ جارية، يخشع القلب لسماعه، وتسمو النفس لألحانه، وهو في حالةٍ عجيبةٍ من الانقطاع والذوبان مع معاني القرآن، إنّه مشهدٌ عجيبٌ يعجز القلم عن وصفه، وما فيه من معنوياتٍ كبيرة...»[٢].

جاء في بعض كلمات رسول الله ﷺ أنّه قال: **«اقرأوا القرآن وابكوا فإنْ لم تبكوا فتباكوا»**[٣].

وفي كلمةٍ أخرى له ﷺ قال: **«إنّ القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا»**[٤].

---

(١) المؤمنون: ١- ٢.

(٢) النعماني: الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص ١٢١.

(٣) الريشهري: ميزان الحكمة ٨/٣٣٤٤، حرف القاف، القرآن، ح١٦٥٤٣.(ط١ - ١٤٢٢هـ، دار الحديث، قم - إيران).

(٤) الزيلعي: تخريج الأحاديث والآثار ٢، سورة مريم/ ح١١. (ط١، ١٤١٤هـ، دار ابن خزيمة، الرياض المملكة العربية السعودية).

ورُوي عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ القرآن نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن»[١].

وعنه عليه السلام قال: «إنّ الله أوحى إلى موسى بن عمران إذا وقفت بين يديّ فقف موقف الذليل الفقير، وإذا قرأت التوراة فأسمعنيها بصوتٍ حزين»[٢].

وجاء في بعض كلماته عليه السلام أنّه قال: «من قرأ القرآن ولم يخضع لله، ولم يرق قلبه، ولا يكتسي حزنًا ووجلًا في سره، فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى، وخسر خسرانًا مبينًا».

فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلبٍ خاشعٍ وبدنٍ فارغٍ وموضعٍ خالٍ، فإذا خشع لله قلبُه فرَّ منه الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٣]، وإذا تفرَّغ نفسه من الأسباب، تجرّد قلبه من القرآن فلا يعترضه عارضٌ فيحرم بركة نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلسًا خاليًا واعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليتين استأنس روحه وسرّه بالله، ووجد حلاوة مخاطبات الله عبادَه الصالحين، وعلِم لُطفَه بهم، ومقام اختصاصه لهم، بفنون كراماته وبدائع إشاراته، فإذا شرب كأسًا من هذا المشروب لا يختار على ذلك الحال حالًا، ولا على

---

(١) الكليني: الكافي ٢/٥٨٧، كتاب فضل القرآن، ب٨ (ترتيل القرآن بالصوت الحسن)، ح٢. (ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، دار الأضواء، بيروت لبنان).

(٢) المصدر السابق ٢/٥٨٨، كتاب فضل القرآن، ب٨ (ترتيل القرآن بالصوت الحسن)، ح٦.

(٣) النحل: ٨٩.

ذلك الوقت وقتًا، بل يؤثره على كلّ طاعةٍ وعبادة، لأنّ فيه المناجاة مع الربّ بلا واسطة، فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك ومنشور ولايتك، وكيف تجيب أوامره ونواهيه، وكيف تمتثل حدوده، فإنّه كتاب عزيز ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]، فرتّله ترتيلًا، وقفْ عند وعده ووعيده، وتفكّر في أمثاله ومواعظه، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده»[2].

فسيدنا الشهيد الصدر إذا قرأ القرآن:

- قرأه بقلبٍ خاشعٍ حزين..
- وقرأه بكلّ انصهارٍ وذوبانٍ وحضور..
- وقرأه قراءة المتدبّرين العارفين..
- وقرأه قراءة الطائعين الممتثلين..

ويحدّثنا الشيخ النعمانيّ عن حالة الانقطاع عند الشهيد الصدر في أثناء طوافه حول الكعبة المشرّفة فيقول: «فقد كان رضوان الله عليه يذهب إلى المسجد الحرام يصلّي الظهر والعصر، ثمّ يعود إلى الفندق لتناول وجبة الغذاء، ثمّ يعود مرةً أخرى في حدود الثانية ظهرًا إلى المسجد حيث يقلّ الزّحام بسبب شدّة الحرّ وكانت أرض المسجد مغطّاة بالمرمر الطبيعيّ – وهو غير المرمر الموجود حاليًا – فكان لا يتمكّن أحدٌ من شدّة الحرّ من الطواف في تلك الفترة، فكان ﷺ يذهب في ذلك الوقت

---

(١) فصلت: ٤٢

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ٨٢/٤٣، كتاب القرآن، ب٢٣/ح٣٠. (ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان).

إلى المسجد حافي القدمين، وكنت أطوف معه فوالله ما تمكّنت من إكمال شوطٍ واحدٍ حتى قطعت طوافي وذهبت مسرعًا إلى الظّل، فقد شعرت أنّ باطن قدمي قد التهب من شدّة الحر، وما طفت في تلك الساعة إلّا منتعلًا، فكنت أعجب من حال السيد الشهيد ﭭ وهو يطوف ويصلّي، وكأنّه في الجو الطبيعي الملائم، فسألته يومًا بعد عودتنا من المسجد الحرام عن هذه القدرة العجيبة من التحمّل فقال: ما دمتُ في المسجد الحرام لا أشعر بالحرارة، نعم بعد أن أعود إلى الفندق أحسّ بألمٍ في قدمي»[1].

إنّه الانقطاع والذوبان مع الله تعالى والعروج إلى عالم الملكوت، ولقد حدّثتنا كتب السيرة عن عبادة أمير المؤمنين ﭺ وعن خشوعه وانقطاعه وذوبانه مع الله تعالى، إلى درجة الانفصال التامّ عن كلّ ما حوله، وإلى درجة الانفصال عن جسده الماديّ، روي أنّه وقع نصلٌ في رجله ﭺ فلم يُمكّن أحدًا من إخراجه، فقالت فاطمة ﭺ: أخرجوه في حال صلاته فإنّه لا يحسّ حينئذٍ ما يجري عليه، فأُخرج وهو في صلاته فلم يحسّ به أصلًا.

وتحدّثنا بعض الروايات عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين ﭺ أنّه كان في صلاته فشبّ حريقٌ في الدار فتصايح الناس، والإمام مشغولٌ بصلاته حتى أوشكت النّار أن تصل إليه وهو يواصل صلاته، فلمّا فرغ علم بوجود النّار، فسألوه عن ذلك فقال: شغلتني نار الآخرة.

---

(١) المصدر السابق.

فليس غريبًا أن يكون الشهيد الصدر رضوان الله عليه وهو تلميذ هذه المدرسة المباركة مدرسة الأئمّة من أهل البيت صلى الله عليهم، أن يتعلّم من أجداده الطاهرين المعصومين، أن يتعلّم من رسول الله ﷺ سيّد المرسلين وأن يتعلّم من عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأن يتعلّم من السجاد زين العابدين عليه السلام كيف يعيش الانقطاع إلى الله تعالى وكيف يعيش الخشوع والانصهار والذوبان في صلاته وفي دعائه وفي تلاوته وفي كلّ حالات عبادته وحالات حياته.

. المحطّة الثانية: أخلاقه وعلاقته مع طلّابه:

كان نموذجًا رائعًا في أخلاقه وعلاقته مع طلّابه وتلامذته، أحاطهم بحبّه وعطفه ورعايته، وأفاض عليهم الكثير من توجيهاته الروحيّة والأخلاقيّة والتربويّة، والكثير الكثير من إرشاداته العلميّة والفكريّة والثقافيّة، ما كان يريد لطلابه أن يكونوا طلّاب فقهٍ وأصولٍ فقط، رغم ما للفقه والأصول من قيمةٍ كبيرةٍ جدًا، أراد لهم أن يكونوا حملة رسالة، ودعاة هداية، وصنّاع أمّة.

وانطلاقًا من هذه الرؤية كان الشهيد الصدر رضوان الله عليه يؤكّد لطلابه أنّهم أبناؤه، وأنّهم امتدادٌ له، ولكن ليس امتدادًا شخصيًّا بل هو الامتداد العلميّ والفكريّ والروحيّ والأخلاقيّ والجهاديّ، ولكي نكتشف عمق العلاقة الأبويّة والروحيّة والفكريّة بين الشهيد الصدر وطلّابه نقرأ هذا النموذج من رسائله إلى طلّابه الذين هجّرهم النظام الحاكم في العراق إلى إيران، أورد هذا النموذج

الشيخ النعمانيّ في كتابه (شهيد الأمّة وشاهدها)... وممّا جاء في هذه الرسالة:

«أولادي وأحبّائي: أكتب هذه الكلمات أيّها الأحبّة وقد مرّ على فراق أبيكم لكم سنةً كاملةً تقريبًا، ما كان أقساها من سنة على هذا الأبّ الذي جسّد فيكم آماله، وبذل في سبيل تحقيق وجودكم الأفضل عصارة روحه وقلبه وعقله جميعًا، وعاش يترقّب نموّ أولاده، واشتداد سواعدهم في العلم، وتساميهم في الروح، وتكاملهم المستمرّ في الخُلق والهدي والدين، وبدأ يحسّ أنّ هؤلاء الأولاد البررة سوف يحقّقون ظنونه فيهم، ويمثّلون امتداده الروحيّ، إذ به يفاجأ في لحظةٍ بقدرٍ فرّق بينه وبين أبنائه وهو أحوج ما يكون عاطفيًّا وروحيًّا ودينيًّا إلى قربهم، وبالرّغم من مرور سنةٍ كاملةٍ على فراق الأبّ لأبنائه فلا أزال كيوم فارقتكم فيه شعورًا بالألم، وشعورًا بالأمل... – إلى آخر رسالته –»[1].

هكذا نقرأ عمق العلاقة بين الشهيد الصدر وطلّابه وقد أنتجت مدرسته المباركة عددًا كبيرًا من هؤلاء الطلّاب ممّن أغنوا الساحة علمًا وعطاءً وجهادًا، ومدرسة الشهيد الصدر مدرسة للأمّة بكاملها، فهو الأبّ الروحيّ والأخلاقيّ والعلميّ والثقافيّ والجهاديّ لكلّ الأمّة، فهل تكون الأمّة بارّةً بهذا الأبّ الكبير الذي أعطى دمه من أجل أن تبقى الأمّة في خطّ الإيمان، ومن أجل أن تبقى الأمّة نقيّة الفكر، ونقيّة

---

(١) النعماني: شهيد الأمّة وشاهدها ج١، ص١٤٨. (ط١، ١٤٢١هـ، المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، قم- إيران).

الروح، ونقيّة السلوك، ومن أجل أن تبقى الأمّة صلبة الإرادة، قويّة التحدّي، شامخة العزيمة.

المحطّة الثالثة: قلبٌ كبيرٌ ينفتح بالعطف حتى على الأعداء:

لقد مارس النظام الحاكم في العراق أشرس الأساليب مع السيّد الصدر رضوان الله عليه، من هذه الأساليب: الحصار القاسي الذي فرضه على منزله، إذ طوّقت أجهزة الأمن المنزل من كلّ الجهات وضيّقوا الخناق على المنطقة كلّها، قطعوا الماء والكهرباء والهاتف، ومنعوا كلّ الإمدادات، وفي وصف هذا الحصار قال النعمانيّ: وبسبب هذه المحاصرة الجائرة اضطررنا إلى الاستفادة من الخبز اليابس، الذي لا يصلح للأكل، وكنت يومًا أتغذّى مع السيّد الشهيد ﷺ من هذا الطعام، فلمح في وجهي علامات التأثّر وكنت في نفسي أقول: سبحان الله إنّ نائب المعصوم يأكل من هذا الفتات بينما يأكل الطغاة ما لذّ وطاب. فقال لي: «**إنّ هذا الطعام ألذّ طعام ذقته في حياتي، لأنّه في سبيل الله ومن أجل الله**». وكلّما مرّت الأيام كانت تشتدّ المحنة على السيّد الشهيد ولا سيّما من الناحية العاطفيّة، فإنّه كان يحسّ بحرجٍ كبيرٍ وهو يرى أطفاله جياعًا، وأمّه المريضة المقعدة تطلب الدواء ولا دواء، وكان يقول لي: «**سيموت هؤلاء جوعًا بسببي ولكن ما دام ذلك يخدم الإسلام فأنا سعيدٌ به، ومستعدٌّ لما هو أعظم منه**»[1].

---

(١) النعماني: شهيد الأمّة وشاهدها ج٢، ص١٥٩.

في أجواء هذا الحصار، وقوات الأمن يشدّدون الخناق، وكأنّهم الذئاب يتلظّون ظمأً إلى دم الشهيد الصدر، في مثل هذه الأجواء كان قلب السيد الصدر ينفتح بالرحمة والعطف على هؤلاء الذئاب.

يقول النعمانيّ: في ظهر أحد أيام الاحتجاز كنت نائمًا في غرفة المكتبة، فاستيقظت على صوت السيد الشهيد رضوان الله عليه وهو يقول: **«لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم».**

ظننت أنّ حدثًا ما قد وقع، فسألته: هل حدث شيء؟ فقال: **«كلا، بل كنت أنظر إلى هؤلاء (يقصد قوات الأمن) من خلال فتحةٍ في الكسر الصغير في زجاجة النافذة، فرأيتهم عطاشى يتصبّب العرق من وجوههم في هذا اليوم من أيام الصيف الحار».**

فقلت: سيدي أليس هؤلاء هم الذين يُطوِّقون منزلكم، ويعتقلون المؤمنين الأطهار من محبّيكم وأنصاركم، هؤلاء هم الذين روّعوا أطفالكم وحرموهم من أبسط ما يتمتّع به الأطفال في أعمارهم؟

فقال ﷺ: **«ولدي، صحيحٌ ما تقول، ولكن يجب أن نعطف حتى على هؤلاء، إنّ هؤلاء إنّما انحرفوا لأنّهم لم يعيشوا في بيئةٍ إسلاميّةٍ صالحة، ولم تتوافر لهم الأجواء المناسبة للتربية الإيمانيّة، وكم من أمثال هؤلاء شملهم الله تعالى بهدايته ورحمته، فصلحوا وأصبحوا من المؤمنين»**، ثمّ نزل إلى الطابق الأرضي وأيقظ خادمه الحاج عباس وأمره أن يسقيهم الماء[1].

(١) النعماني: شهيد الأمّة وشاهدها ج١، ص١٤٠.

أيّ قلبٍ كبيرٍ هذا القلب الذي لا يعرف إلّا الرحمة وحبَّ الخير، إنّه قلب السيِّد الصدر، أليس جدّه سيِّد الأنبياء محمد ﷺ الذي كان يقول وهو في أشدّ حالات المحنة: «**اللهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون**»، أليس جدّه سيد الشهداء الإمام الحسين ﷺ الذي سقى الحرّ بن يزيد الرياحيّ وعسكره في طريق كربلاء، وهو الذي جلس يبكي في يوم عاشوراء وهو ينظر إلى الألوف الذين تألّبوا لقتاله فيسأل: ممّ بكاؤك يا ابن رسول الله؟ فيجيبهم: «**أبكي من أجل هؤلاء الذين سيدخلون النّار بسببي...**»، والسيِّد الصدر هو سليل هذا البيت الطاهر.

هكذا تمتلئ قلوب أولياء الله رحمةً وعطفًا حتى بالنسبة لأعدائهم والساعين لامتصاص دمائهم، وشهيدنا الصدر هو امتدادٌ لشجرة النبوّة والإمامة فلا عجب أن ينبض قلبه بهذا العطف وبهذه الرحمة وكان لهذه المشاعر النابضة أثرها الكبير فقد أثبتت الأيام – كما يحدّث الشيخ النعمانيّ – أنّ أحد ضبّاط الأمن وكان يرأس القوات التي طوّقت منزل السيد الصدر قد أدركته الهداية الربّانيّة متأثرًا بالعواطف الحانية التي مارسها الشهيد الصدر معهم، وقد قام هذا الضابط بخدماتٍ جليلةٍ خلال فترة الحجز، كان السيد الصدر يذكرها له، وشاء الله أن يكرم هذا الرجل بالشهادة مع مجموعةٍ تعاونت معه، تمّ إعدامهم على يد جلاوزة النظام، ولمّا بلغ السيد الصدر خبر إعدامه مع بعض المتعاونين معه قال مخاطبًا الشيخ النعمانيّ: «**انظر كيف اهتدى هؤلاء يجب أن تتسع قلوبنا حتى لهؤلاء**».

المحطّة الرابعة: نكران الذات والأنا:

إنّها الربّانيّة والروحانيّة الصّادقة، ما كان الشهيد الصدر إلّا مشدودًا إلى الله تعالى طامعًا في رضاه، لا يبحث عن دنيا، وعن هوى، ولا عن شهرة، لأنّه واثقٌ كلّ الوثوق أن لا قيمة لشهرةٍ يعقبها خسران في الآخرة «**إنّ العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب، ولا يساوي عند الله جناح بعوضه**»[1] إنّها الشهرة الزائفة الكاذبة، كان رضوان الله عليه لا يحبّ العناوين، كان لا يكتب على مؤلفاته إلا عبارة (محمد باقر الصدر).

قصّة الشهيد الصدر وكتاب (فلسفتنا):

«عندما كتب (فلسفتنا) أراد طبعه باسم جماعة العلماء في النجف الأشرف، بعد عرضه عليهم متنازلًا عن حقّه في وضع اسمه الشريف على هذا الكتاب إلّا أنّ الذي منعه من ذلك أنّ جماعة العلماء أرادت إجراء بعض التعديلات في الكتاب المذكور، وكانت تلك التعديلات غير صحيحةٍ في رأي السيد الشهيد، فاضطّر أن يطبعه باسمه...».

وقد علّق السيد الشهيد على هذه الحادثة بقوله: «**حينما طبعت هذا الكتاب (فلسفتنا) لم أكن أعرف أنّه سيكون له هذا الصيت العظيم في العالم والدّوي في المجتمعات البشريّة، ممّا يؤدي إلى اشتهار من ينسب إليه الكتاب، وكنت أفكر أحيانًا فيما**

---

(١) العجلوني: كشف الخفاء: ج١ / ٢٢١، ح٦٧٣. (ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان).

لو كنت مطّلعًا على ذلك، وعلى مدى تأثيره في إعلاء شأن مؤلفه لدى النّاس، فهل كنت مستعدًا لطبعه باسم جماعة العلماء وليس باسمي كما كنت مستعدًا لذلك أو لا؟ وأكاد أبكي خشية أنّي لو كنت مطّلعًا على ذلك لم أكن مستعدًا لطبعه بغير اسمي»[1].

هكذا «نكران الذات والأنا» عند الشهيد الصدر من أجل أن يكون «الربّانيّ» الصّادق مع الله تعالى، وأذكر هنا حادثةً تؤكّد هذه الروح المتعالية على شهوة الأنا وحبّ البروز والشهرة :

السيّد الشهيد والمرجع الكبير السيّد الخوئي:

دخل السيد الصدر – في إحدى المناسبات – على المرجع الديني الكبير السيد الخوئي، وكان السيد الشهيد في ذلك الوقت يملك شأنًا كبيرًا يؤهّله للمرجعيّة، فهذا يفرض عليه أن يتعامل مع المراجع الآخرين من هذا الشعور، فلمّا دخل السيد الصدر على السيد الخوئي وفي حضور حشدٍ جماهيريٍّ كبيرٍ هوى على يد السيّد الخوئي وقبّلها متحدّيًا الأنا في داخله...[2]

وهذا يؤكّد أنّه ما كان يتصنّع الربّانيّة والروحانيّة، كثيرون يتظاهرون بالربّانيّة والروحانيّة تصنّعًا وتكلّفًا وربّما كذبًا وافتراءً

---

(١) الحائري: مباحث الأصول، الجزء الأول من القسم الثاني، ص٤٥ – (ط١، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم – إيران).

(٢) هذه الحادثةُ كان يتناقلها الكثير من الثّقاة...

وربّما استطاعوا أن يملكوا قلوبًا بعض الوقت، وربّما استطاعوا أن يبهروا نفوسًا بعض الوقت، وربّما استطاعوا أن يجتذبوا أرواحًا بعض الوقت، ولكن سرعان ما يموت الانجذاب.

الشهيد الصدر رضوان الله عليه كان ربّانيًّا صادقًا، وروحانيًّا طاهرًا، بقي متألقًا في ربانيّته، وبقي متوهّجًا في روحانيّته، بل أخذ يزداد تألّقًا، ويشتدّ توهّجًا، وهو يقترب من ذروة الربّانيّة وقمّة الروحانيّة في عشقٍ كبيرٍ إلى «لحظة الشهادة».



دوره في الحياة
العلميّة والاجتماعيّة والسياسيّة

حياة الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، حياةٌ زاخرةٌ بالعطاء والجهاد، والعلم والعمل، والتقوى والعبادة، وأنّ كلّ فقرةٍ من فقرات حياة السيد الصدر، تحتاج إلى وقفاتٍ طويلة، وإلى تأمّلاتٍ كبيرة، ودراساتٍ واسعة، ولا يمكننا في هذا العرض العاجل، إلّا أن نشير إلى بعض اللمحات السريعة، ضمن خطوطٍ عريضة، نتلمّس من خلالها جانبًا من ذلك الفيض والعطاء.

أولًا: مواجهة التيّارات الفكريّة التي تشكّل خطرًا على الإسلام:

فقد واجه المجتمع الإسلاميّ في النصف الأخير من هذا القرن، غزوٌ فكريٌّ خطير، تمثّل في بروز تياراتٍ فكريّةٍ كافرة، شكّلت خطرًا كبيرًا على الرسالة الإسلاميّة، ومن أضرى تلك التيارات وأخطرها، التيار الماركسيّ، والتيار الرأسماليّ.

وهنا وقف الإمام الصدر، ليتصدّى بفكره العملاق إلى تلك التيّارات الكافرة، التي حاولت أن تزحف إلى ذهنيّات المثقّفين من أبناء الأمّة الإسلاميّة.

وكانت دراساته الفكريّة التي ناقش فيها، الفكر الماركسيّ، والفكر الرأسماليّ، من أعمق وأنضج الدراسات الفكريّة، ويمكن أن نلمس ذلك من خلال الاطّلاع على الكتابين العملاقين «اقتصادنا» و«فلسفتنا» فإنّ نظرةً إلى هذين الكتابين، تبرهن على مستوى العمق الفكريّ الذي يتمتّع به إمامنا الشهيد، ومستوى فهمه الواسع لمختلف النظريّات الفكريّة، وقدرته الفائقة على محاكمة كلّ الفلسفات المناقضة للإسلام..

ثانيًا: التعريف بالفكر الإسلاميّ:

ساهم الإمام الصدر بشكلٍ فعّالٍ في تعريف الفكر الإسلاميّ؛ من خلال أعمق وأنضج الأطروحات الإسلاميّة، التي تعبّر عن أرقى الكفاءات العلميّة التي يمتلكها الإمام الصدر.

وقد استطاع الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه، أن يعيد إلى الساحة الإسلاميّة نماذج علماء الإسلام الأوليين من أمثال الشيخ الطوسي العلّامة الحلّي، والسيد المرتضى، الذين كانوا قيّمين على كلّ فروع المعرفة الإسلاميّة وقد برز الإمام الصدر منارًا شامخًا في الفكر الإسلاميّ، وقيّما على أفكار العصر في كلّ المجالات ذات الصلة بالإسلام، كما تشهد بذلك مؤلفاته وبحوثه ومحاضراته التي قدّمت للمعرفة الإسلاميّة في مختلف مجالات الفقه والأصول والفلسفة والاقتصاد والاجتماع والتاريخ، والقانون والأنظمة المصرفيّة..

وإليكم بعض المجالات التي تناولتها كتابات الإمام الصدر ومحاضراته:

١- الدراسات الفلسفيّة والمنطقيّة:

- كتاب «فلسفتنا».
- كتاب «الأسس المنطقيّة للاستقراء».

٢- الدراسات الاقتصاديّة والمصرفيّة:

- كتاب «اقتصادنا».
- «ماذا تعرف عن الاقتصاد الإسلاميّ».
- الصورة الكاملة للاقتصاد في المجتمع الإسلاميّ.
- الخطوط التفصيليّة لاقتصاد المجتمع الإسلاميّ.
- البنك اللّا ربويّ في الإسلام.
- الأسس العامّة للبنك الإسلاميّ في المجتمع الإسلاميّ.

٣- الدراسات الفقهيّة:

- بحوثٌ في شرح العروة الوثقى، صدر منه أربعة أجزاء.
- الفتاوى الواضح، رسالةٌ عمليّةٌ تضمنت الآراء الفقهيّة للإمام الصدر، وقد صدر الجزء الأول من هذا الكتاب، وكان الإمام الشهيد قد خطّط لهذا الكتاب أن يكون أربعة أقسام:

١- العبادات.

٢- الأموال.

٣- السلوك الخاص.

٤- السلوك العام.

وقد استشهد الإمام الصدر قبل أن يصدر الأقسام الثلاثة الباقيّة..

- التعليقة على منهاج الصالحين للإمام الحكيم «جزءان».
- أحكام الحجّ.

٤- **الدراسات الأصوليّة:**

- دروسٌ في علم الأصول «أربعة أجزاء».
- غاية الفكر في علم الأصول.
- المعالم الجديدة للأصول.
- مباحث الدليل اللفظي.
- تعارض الأدلة الشرعيّة.

٥- **الدراسات العقائديّة:**

- المُرسل والرّسول والرّسالة.
- بحثٌ حول الولاية.
- بحثٌ حول المهديّ.

٦- **الدراسات القرآنيّة:**

للإمام السيد الصدر عدّة محاضراتٍ في تفسير القرآن الكريم، وقد نحى الإمام في هذه المحاضرات منحى «التفسير الموضوعيّ للقرآن»، ويوضّح السيد الصدر الفارق بين الاتجاه الموضوعيّ في التفسير والاتجاه التجزيئيّ في التفسير، ويتمثّل هذا الفارق في نقطتين:

أ- **الاتجاه الموضوعيّ في التفسير**، يبدأ بالواقع الخارجيّ وبحصيلة التجربة البشريّة ثمّ يعود إلى القرآن، ليحكم القرآن، ويستنطق القرآن الكريم، ومن خلال الاستنطاق يتلقّى الأجوبة من القرآن.

أمّا الاتجاه التجزيئيّ في التفسير فيبدأ من القرآن وينتهي بالقرآن، ليس فيه حركةٌ من الواقع إلى القرآن ومن القرآن إلى الواقع.

ب- الاتجاه الموضوعيّ في التفسير يتجاوز الاتجاه التجزيئيّ خطوة، لأنّ التجزيئيّ يكتفي بإبراز المدلولات التفصيليّة للآيات القرآنيّة، بينما التفسير الموضوعي يطمح إلى ما هو أكبر، فهو يحاول أن يستحصل أوجه الارتباط بين هذه المدلولات التفصيليّة... يحاول أن يصل إلى مركّب نظريّ قرآنيّ، وهذا المركب النظريّ القرآنيّ يحتّل في إطاره كلّ واحدٍ من تلك المدلولات التفصيليّة موقعه المناسب وهو ما نسمّيه بلغة اليوم بالنظريّة، ليصل إلى نظريّةٍ قرآنيّةٍ عن النبوّة، أو نظريّةٍ قرآنيّةٍ عن المذهب الاقتصاديّ، أو نظريّةٍ قرآنيّةٍ عن سنن التاريخ...

٧- الدراسات التاريخيّة:

للإمام الصدر مجموعة محاضرات، تتّصل بحياة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، استهدفت هذه الدراسات إبراز الدور الاجتماعيّ والسياسيّ والفكريّ الذي مارسه الأئمّة عليهم السلام في الحياة الإسلاميّة.

٨- دراساتٌ متفرّقة:

- الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعيّة.
- نظرةٌ عامة في العبادات.
- لمحةٌ فقهيّة عن دستور الجمهوريّة الإسلاميّة.
- خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء.
- منابع القدرة في الدولة الإسلاميّة.
- اخترنا لك «مجموعة بحوث».

التعريف بمؤلفات الشهيد الصدر:

- **اقتصادنا:** يُعدّ هذا الكتاب إنجازًا علميًا متميّزًا في الفكر الإسلاميّ والاقتصاديّ، فقد تناول فيه الشهيد الصدر بالبحث العلميّ الدقيق موضوع الاقتصاد كمذاهب شاخصة تنتمي إلى مدارس عقيديّة، وناقش الشهيد الاقتصاد الماركسيّ والرأسماليّ، وقدّم المذهب الإسلاميّ في الاقتصاد بديلًا عنهما.

- **فلسفتنا:** أحدث الكتاب ضجةً كبيرةً في الأوساط الفكريّة الإسلاميّة وغير الإسلاميّة، فقد ناقش الإمام الصدر فيه أهمّ النظريّات الفلسفيّة المطروحة، وقدّم بصورةٍ واضحةٍ نظريّة المعرفة الإسلاميّة، وناقش الفلسفة الماديّة مناقشةً علميّةً ضمن منهجٍ موضوعيٍّ تميّز به دون سواه.

- **البنك اللاربويّ في الإسلام:** رسم الشهيد الصدر في هذا الكتاب المنهج الإسلاميّ للمصارف، وكيفيّة تخلّصها من التعامل الربويّ

المحرّم شرعًا، وأوضح قدرة الفكر الاقتصاديّ الإسلاميّ على معالجة القضايا الحسّاسة في مجال السياسة المصرفيّة.

• **الأسس المنطقيّة للاستقراء:** يُعدّ هذا الكتاب إنجازًا رائدًا في مجال الدراسات الفلسفيّة والمنطقيّة، فقد ناقش فيه الإمام الشهيد قضايا أساسيّة، وتُرجم إلى عدّة لغات حيّة.

• **المدرسة القرآنيّة:** الكتاب في الأصل مجموعةٌ من المحاضرات ألقاها الشهيد الصدر على طلبته في النجف الأشرف قُبيل استشهاده، وتحدّث فيها عن السنن التاريخيّة في القرآن الكريم، مقدمًا طرحًا جديدًا في مجال الدراسات القرآنيّة، وجُمعت هذه المحاضرات وطُبعت لمرّاتٍ كثيرةٍ بعد استشهاده «قدس سره».

• **المدرسة الإسلاميّة:** مناقشة علميّة للمشكلة الاجتماعيّة والمناهج السائدة في معالجتها، إذ ناقش السيد الشهيد الفكر الماديّ في معالجة المشكلة الاجتماعيّة، مبيّنًا بالدليل الموضوعيّ افتقار هذا الفكر إلى تقديم الحلّ المطلوب وأنّه يحتوي على نقصٍ كبيرٍ في هذا المجال، ثمّ ينتقل إلى طرح النظريّة الإسلاميّة في معالجة مشكلة البشريّة وأنّها الخيار الأمثل في هذا الاتجاه.

• **المُرسِل، الرسول، الرسالة:** الكتاب في الأصل مقدّمةٌ لرسالته العمليّة «الفتاوى الواضحة»، نحا فيها السيد الشهيد منحىً جديدًا يختلف عن المقدّمات التقليديّة السائدة في رسائل الفقهاء العمليّة،

إذ تناول مسائل عقائديّة مهمّة مثل إثبات وجود الله بالدليل العلميّ الاستقرائي، ونظرًا إلى أهميّة هذه المقدّمة فقد طُبعت في كتابٍ مستقل.

• **دروسٌ في علم الأصول:** أهمّ كتاب أصدره الشهيد الصدر في مجال الدراسات العلميّة الأصوليّة، وهو منهجٌ دراسيٌّ خاصٌّ لطلبة العلوم الدينيّة، وتميّز الكتاب بمنهجه الحديث الذي يعبّر عن المنهج العلميّ العام للشهيد الصدر.

• **المحنة:** الكتاب في الأصل محاضرتان للإمام الشهيد الصدر؛ ألقاهما على تلامذته قُبيل استشهاده، ثمّ طُبعتا في كتابٍ مستقلٍ فيما بعد، بَحثَ فيهما المفهوم القرآنيّ للمحنة، إذ قسّمها إلى قسمين موضوعي وذاتيّ، وقصد بالأول الظروف التي تصنع المحنة، وبالثاني دور الفرد في مواجهة المحنة، وعكست هاتان المحاضرتان الظروف التي كان يعاني منها الشهيد الصدر في تلك الفترة الحسّاسة التي عاشتها الأمّة في العراق.

• **معالم الأصول:** كتاب أصدره الشهيد الصدر في منتصف السبعينات، وبحث فيه تطوّر علم الأصول في التاريخ الإسلاميّ، وبحث فيه أهمّ المنعطفات والمؤثّرات في تاريخ الفكر الإسلاميّ التي ساهمت في تبلور علم الأصول، ويُعدّ الكتاب أول مساهمةٍ علميّةٍ في تحليل التطوّر العلميّ لتاريخ الفكر الأصوليّ.

الحركة الاجتهاديّة:

يُعتبر الإمام السيد محمد باقر الصدر صاحب مدرسة في مجال الحركة الاجتهاديّة، فقد أعطى لعمليّة الاستنباط أبعادًا فكريّةً جديدة، فلم تبق عمليّة الاستظهار الفقهيّ والفهم العلميّ على عفويّتها، بل رُبطت بأسسها، وحرص السيد الصدر على شدّ كلّ استظهار بركائزه، ولم تبق عمليّة البحث الأصوليّ دائرة في متاهات الألفاظ والمصطلحات أو مقولات الفلاسفة، بل أصبحت عمليّةً زاخرةً بالأصالة.

القيادة المرجعيّة الكفوءة:

لقد توافرت في إمامنا الشهيد الصدر أرقى مؤهلات القيادة المرجعيّة والتي تتمثّل في المؤهّل العلميّ والفكريّ، والعدالة، والكفاءة القيادية.

ومن موقع القيادة المرجعيّة مارس الإمام الصدر دوره الكبير في رعاية الأمّة، وتوجيهها، والمحافظة عليها من النكسات والهزّات الخطيرة، وصيانتها من الانحرافات الطارئة في حياتها... فهو كان دائم الاتصال بالأمّة، يتعرّف على قضاياها ومشاكلها، ويقدّم لها العطاء من توجيهاته وعطفه وأبوّته.

وهناك جانبٌ آخر من قيادته تَمثّل في تربية الدعاة الإسلاميّين تربيةً رساليّةً عالية، تؤهّلهم لتحمّل مسؤوليّة العمل الإسلاميّ الكبير، ومواجهة التيّارات الفكريّة الكافرة.

الجهاد السياسيّ:

وتمثّل هذا الجهاد في الأبعاد التالية:

أ- التعريف بمفاهيم الإسلام السياسيّة.

ب- التعريف بدور الأئمّة (عليهم السّلام) السياسيّ في الحياة الإسلاميّة.

ج- شحن الأمّة بروح الصمود والمواجهة.

د- تعرية الأنظمة المنحرفة عن خطّ الإسلام.

هـ- المواجهة والتصدّي للأنظمة المنحرفة والحكام الجائرين.

الملامح العامّة
لمشروع الشهيد الصدر التغييريّ

يمكن أن نتعرّف على هذه الملامح من خلال العناصر التالية:

العنصر الأول: التغييريّة.

لماذا المشروع التغييريّ؟

لقد وجد الشهيد الصدر رضوان الله عليه من خلال رؤيته لواقع المسلمين أنّ هناك مساحتين مختلفتين في هذا الواقع:

المساحة الأولى: الواقع الفرديّ للمسلمين:

وهذا الواقع ظلّ محكومًا - على نحو الإجمال- للإسلام، فالمسلمون في واقعهم الفرديّ يتحرّكون من خلال تعاليم الإسلام، لا يعني هذا عدم وجود انحرافاتٍ عن الإسلام في داخل سلوكيّات الأفراد، وإنّما المقصود أنّ الإسلام بقي هو الموجّه لهذا الواقع الفرديّ في حياة المسلمين.

المساحة الثانية: الواقع النظاميّ للمسلمين:

ونعني بهذه المساحة واقع الأنظمة السياسيّة والاقتصاديّة والتعليميّة والإعلاميّة والثقافيّة التي تحكم المسلمين، وهذه المساحة

من واقع المسلمين سقطت في قبضة هيمنة المشروع المناهض للإسلام، وقد أصبح المسلمون مأسورين لهذه الهيمنة، ما دامت الأنظمة الحاكمة في مجتمعات المسلمين هي أسيرة هذا المشروع.

انظروا إلى أنظمة السياسة في غالبية مجتمعات المسلمين، وإلى أنظمة الاقتصاد، وإلى أنظمة الثقافة، وإلى أنظمة التعليم، وإلى أنظمة الإعلام، فستجدونها بعيدة كلّ البعد عن أحكام الإسلام.

فالإنسان المسلم في واقعه الفرديّ يحاول أن يكون ملتزمًا بأحكام الإسلام، إلّا أنّه في الواقع العام السياسيّ والاقتصاديّ والثقافيّ والإعلاميّ محكومٌ لأنظمة ولقوانين تحاول أن تبتعد به عن الإسلام، وهكذا يقع الإنسان المسلم في ازدواجيّةٍ صعبةٍ تضعه في مأزقٍ حادٍ وربّما دفع به ذلك إلى التخلّي عن التزاماته الدينيّة حتى في واقعه الفرديّ.

فمن خلال هذه الرؤية كان التغيير لواقع الأنظمة هو (الخيار) الذي اعتمده الشهيد الصدر، من أجل إعادة الإسلام إلى موقعه في حاكميّة المسلمين.

وإن النهج الإصلاحيّ الترميميّ لا ينفع لإعادة صياغة الواقع بكلّ مكوّناته الثقافيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، ما دامت هذه المكوّنات في قبضة الأنظمة المنحرفة عن الإسلام، فالتغيير ومن خلال الإسلام هو العنصر الأساس في هذا المشروع.

ويجب ألّا يُفهم من هذا أن الشهيد الصدر لا يرى ضرورة الاهتمام بواقع الأمّة، وبالمساحات الفرديّة في هذا الواقع، إنّه يرى أهميّة ذلك بكلّ تأكيد، بل إنّ منطلق التغيير عند الشهيد الصدر هو الاهتمام بصوغ وعي الأمّة وبتحريك الأمّة في خط التغيير الثقافيّ والاقتصاديّ والسياسيّ، وألّا يقتصر الأمر على صوغ (النخب) فقط.

إنّ نظرية الشهيد الصدر التي اقتنع بها أخيرًا هي ضرورة الاتجاه إلى تعبئة الأمّة وبنائها وتوعيتها، وضرورة إدخالها وإنزالها إلى ساحة العمل والصراع السياسيّ والاجتماعيّ، وبالتدريج تنضج الأمّة وتنمو وتتكامل، بالإضافة إلى دور النخب المثّقفة والعلماء في توجيه وتثقيف الأمّة.

أنقل هذا المقطع من كتاب الإمام محمد باقر الصدر معايشة من قريب للسيد محمد الحيدريّ[1]: «ففي أحد الاجتماعات التي عقدت في بيت السيد محمود الهاشمي والذي مثّل السيد الشهيد بها أعلن السيد الهاشمي نيابة عن السيد الصدر أن رؤيته وعمله السابق تجاه الأمّة كانا خطأ، وقال: كنّا نهتم بالنخب المثّقفة ولا نعطي اهتمامنا للأمّة، ولهذا كنّا نعتبر تثبيت كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء) مادّة للتدريس في الحوزة العلميّة فتحًا ونصرًا كبيرًا؟!

---

(١) الحيدري: الإمام محمد باقر الصدر معايشة من قريب، ص٧٧.

بينما الطريقة الصحيحة هي منهجيّة الإمام الخميني الذي يوجّه جلّ اهتماماته تجاه الأمّة، يعبئها ويبنيها من خلال إنزالها إلى ساحة العمل السياسيّ والاجتماعيّ، وخلاصة رأي السيد الشهيد الصدر الجديد أنّ مهمّة تربية الأمّة وتوعيتها إنّما تكون من خلال إدخالها وإنزالها إلى ساحة العمل والصراع السياسيّ والاجتماعيّ، وبالتدريج تنضج وتنمو وتتكامل.

بالإضافة إلى دور النخب المثّقفة والعلماء في توجيه وتثقيف الأمّة، وبعبارة أخرى إنّ العمليتين تجريان في وقتٍ واحدٍ ومتوازيتان.

ومن الواضح عند ما يُراد دخول الأمّة في القضايا السياسيّة والاجتماعيّة فإنّ ذلك يحتاج منها إلى معرفة المواقف والآراء، وبالتالي اختيار الرأي الصحيح من خلال ارتباطها بالقيادة الإسلاميّة، وهكذا تنمو وتتصاعد وتتكامل في مسيرتها وجهادها».

فمرتكزات التغيير في مشروع الشهيد الصدر:

- المبدأ الصالح والمتمثّل في الإسلام.
- القيادة الصالحة والمتمثّلة في (قيادة الفقهاء)، سوف نتناول هذا العنصر.
- الأمّة الصالحة المنتمية للمبدأ الصالح والخاضعة للقيادة الصالحة.

العنصر الثاني: الشموليّة:

لم يكن المشروع التغييريّ الذي طرحه الشهيد الصدر مشروعًا يستهدف تغييرًا جزئيًّا في واقع المسلمين، إنّما هو مشروعٌ شموليٌّ يهدف إلى إعادة صياغة الواقع بكلّ امتداداته ومكوّناته.

وأهمّ المفاصل التي ينظّمها هذا المشروع هي:

- المفصل العقيديّ.
- المفصل الفكريّ والثقافيّ.
- المفصل الروحيّ والأخلاقيّ.
- المفصل الاجتماعيّ.
- المفصل الاقتصاديّ.
- المفصل التربويّ.
- المفصل السياسيّ.

وقد حاول الشهيد الصدر أن يعالج هذه المفاصل من خلال مجموعة دراساته وأبحاثه وأطروحاته.

العنصر الثالث: التأسيس الفقهيّ.

لم يكن الشهيد الصدر ليطرح مشروعه التغييريّ دون أن يؤسّس له فقهيًّا، لذلك وجدنا الشهيد الصدر يصنّف الفقه إلى مستويات:

- فقه الفرد.
- فقه المجتمع.
- فقه الدولة.

وقد كتب الشهيد الصدر عدّة أبحاثٍ تناولت ضرورة تطوير الذهنيّة الاجتهاديّة، وضرورة تطوير المنهج الاستنباطي عند الفقهاء؛ بما يتناسب وضرورات الواقع الجديد بكلّ متغيّراته وحاجاته.

كما أكدّ على ضرورة صياغة الفقه صياغة جديدة مستوعبة لحاجات الفرد والمجتمع والدولة.

العنصر الرابع: الأخلاقيّة والروحيّة:

كان الشهيد الصدر يؤكّد في أحاديثه ومحاضراته على المسألة الروحيّة والأخلاقيّة كعنوانٍ كبيرٍ في المشروع التغييريّ، وكان يدعو إلى ضرورة التزاوج بين الروحانيّة والحركيّة، فالتعامل مع المسألة الروحيّة والأخلاقيّة له ثلاث صيغ:

الصيغة الأولى: فصل المسألة الروحيّة والأخلاقيّة عن حركة الواقع:

وبعبارة أخرى التعاطي مع المسألة الروحيّة بعيدًا عن الواقع، هذه الصيغة تلغي الواقع (روحانيّة جامدة)، هذا النمط من التعاطي مع الحالة الروحيّة مرفوض في وعي الشهيد الصدر.

الصيغة الثانية: إلغاء المسألة الروحيّة في حركة الواقع:

وبعبارةٍ أخرى عدم الاعتراف بالقضايا الروحيّة بدعوى أنّ القضايا الروحيّة تعطّل حركة الواقع، هذه الصيغة يرفضها الشهيد الصدر، كونها تحمل فهمًا خاطئًا للمسألة الروحيّة، وكونها تنتج أثارًا خطيرةً في حركة الواقع، فمن خلال هذه الصيغة ينشأ مثقّفون بلا روحانيّة، وينشأ سياسيّون بلا روحانيّة، وينشأ حركيّون بلا روحانيّة.

الصيغة الثالثة: الروحانيّة المتحركة:

وهذه الصيغة تُعطي للمسألة الروحيّة دورها الفاعل في حركة الواقع (الثقافيّ والاجتماعيّ والسياسيّ والجهاديّ)، وهنا ينشأ الروحانيّون الحركيّون، وينشأ الحركيّون الروحانيّون، هذه الصيغة هي التي يؤكد عليها مشروع الشهيد الصدر.

وهناك بُعدٌ آخر أكّد عليه هذا المشروع التغييريّ عند الشهيد الصدر، وهو (حالة التزاوج بين الفقه والأخلاق)، فقد لاحظ الشهيد الصدر ظاهرة انفصال (المسألة الأخلاقيّة) عن (المضمون الفقهيّ) في تطبيقات الإنسان المسلم، حيث أنّ المسائل الأخلاقيّة لا تملك قوة (الإلزام الفقهيّ) فلا حرج في التخلّي عنها.

وممّا كرّس هذا الفهم عند الفرد المسلم هو الافتراق بين الفقه والأخلاق في (الرسائل العملية) للفقهاء، وفي (الكتب الأخلاقيّة).

فهنا اتجاهان خاطئان وفق منظور الشهيد الصدر .

الاتجاه الأول: التعاطي مع المسألة الفقهيّة بعيدًا عن المضمون الأخلاقيّ.

الاتجاه الثاني: التعاطي مع المسألة الأخلاقيّة بعيدًا عن المضمون الفقهيّ.

وفي ضوء هذا الرفض لهذين الاتجاهين يؤكّد الشهيد الصدر على ضرورة (التزاوج بين المضمون الفقهيّ والمضمون الأخلاقيّ)، وهذا التزاوج: يعطي للالتزاميّة الفقهيّة مضمونًا أخلاقيًا، ويعطي للممارسة الأخلاقيّة إلزاميّة فقهيّة.

العنصر الخامس: ضرورة صياغة وعي الأمّة:

الشهيد الصدر في مشروعه التغييريّ يعتمد أساسًا على تشكّل (الوعي) عند الأمّة، فما لم يتشكّل هذا الوعي عند الأمّة فإنّ حركة المشروع التغييريّ سوف لن تتفعّل، من هنا كان تأكيده على ضرورة صياغة وعي الأمّة كشرطٍ أساس لنجاح المشروع التغييريّ، ومن الواضح جدًا في أطروحات الشهيد الصدر مسألة الاهتمام بوعي الأمّة، وكما ذكرنا في موقع سابق من هذا الحديث أنّ (الأمّة الصالحة) هي أحد مكوّنات التغيير في مشروع الشهيد الصدر، فصياغة الوعي التغييريّ عند الأمّة ضرورة لنجاح هذا المشروع، والوعي التغييريّ المطلوب يتشكّل من:

- الوعي بمفاهيم الإسلام ومبادئه وقيمه.
- الوعي بضرورة التغيير على أساس الإسلام.
- الوعي بضرورة وجود المشروع المؤهّل لانجاز مهمّة التغيير.
- الوعي بكلّ العوامل التي تساهم في نجاح هذا المشروع.
- الوعي بكلّ المعوّقات التي تعرقل حركة المشروع.

العنصر السادس: المرجعيّة الصالحة الكفوءة:

من أساسيّات المشروع التغييريّ عند الشهيد الصدر هو التفكير في شأن المرجعيّة الفقهائيّة باعتبارها القيادة المؤهلة، وقد صاغ الشهيد الصدر أطروحته في تطوير (أسلوب العمل المرجعيّ)، وحسب ما جاء في النص المكتوب من قبل السيد الصدر نفسه[1]:

أولًا: إيجاد جهازٍ عملي تخطيطيّ وتنفيذيّ للمرجعيّة يقوم على أساس الكفاءة والتخصّص وتقسيم العمل، واستيعاب كلّ مجالات العمل المرجعيّ الرشيد في ضوء الأهداف المحدّدة، ويقوم هذا الجهاز بدلًا عن الحاشية التي تعبّر عن جهاز عفوي مرتجل يتكوّن من أشخاصٍ جمعتهم الصدفة والظروف الطبيعيّة لتغطية الحاجات الآنيّة بذهنيّةٍ تجزيئيّةٍ وبدون أهدافٍ واضحةٍ محددة.

ويشتمل هذا الجهاز - أيّ جهاز المرجعيّة الصالحة المطلوب توفيره - على لجانٍ متعدّدةٍ تتكامل وتنمو بالتدريج إلى أن تستوعب كلّ إمكانات العمل المرجعيّ...

---

(١) الحائري: مباحث الأصول، الجزء الأول من القسم الثاني، ص٩٤ - ٩٧.

ثانيًا: إيجاد امتدادٍ أفقيّ حقيقيّ للمرجعيّة، يجعل منها محورًا قويًّا تنصب فيه كلّ قوى ممثّلي المرجعيّة والمنتسبين إليها في العالم، لأنّ المرجعيّة حينما تتبنّى أهدافًا كبيرة، وتمارس عملًا تغييريًّا وواعيًا في الأمّة، لا بدّ أن تستقطب أكبر قدرٍ ممكنٍ من النفوذ، لتستعين به في ذلك.

ويُحاول الشهيد من خلال هذه الصيغة تطوير شكل الممارسة للعمل المرجعيّ، فبدلاً من أن تكون الممارسة فرديّة وِفق الصيغة التقليديّة فإنّ المرجع وِفق الصيغة الجديدة يُمارس عمله من مجلسٍ يضمّ علماء الشيعة والقوى الممثّلة له دينيًّا، وربط المرجع نفسه بهذا المجلس، وبهذا يكون العمل المرجعيّ موضوعيًا، إن كانت المرجعيّة نفسها بوصفها نيابة عن الإمام قائمةً بشخص المرجع.

ثالثًا: إيجاد امتدادٍ زمنيّ للمرجعيّة الصالحة لا تتسع له حياة الفرد الواحد، فلا بدّ من ضمانٍ نسبيّ لتسلسل المرجعيّة في الإنسان الصالح المؤمن بأهداف المرجعيّة الصالحة، لئلّا ينتكس العمل بانتقال المرجعيّة إلى من لا يؤمن بأهدافها الواعية ولا بدّ أيضًا من أن يهيّأ المجال للمرجع الجديد ليبدأ ممارسة مسؤوليّاته من حيث انتهى المرجع السابق بدلًا من أن يبدأ من الصفر، ويتحمّل مشاقّ هذه البداية وما تتطلبه من جهود جانبيّه، وبهذا يتاح للمرجعيّة الاحتفاظ بهذه الجهود للأهداف وممارسة ألوانٍ من التخطيط الطويل المدى.

ويتمّ ذلك عن طريق شكل المرجعيّة الموضوعيّة، إذ في إطار المرجعيّة الموضوعيّة لا يوجد المرجع فقط بل يوجد المرجع كذاتٍ ويوجد الموضوع وهو المجلس بما يضمّ من جهازٍ يُمارس العمل المرجعيّ الرشيد، وشخص المرجع هو العنصر الذي يموت، وأمّا الموضوع فهو ثابت، ويكون ضمانًا نسبيًّا إلى درجةٍ معقولةٍ بترشيح المرجع الصالح في حال خلوّ المركز، وللمجلس - وللجهاز بحكم ممارسته للعمل المرجعيّ، ونفوذه، وصلاته، وثقة الأمّة به - القدرة دائمًا على إسناد مرشحه وكسب ثقة الأمّة إلى جانبه.



قراءةٌ في أطروحة الشهيد الصّدر ﭬ
حول المرجعيّة الموضوعيّة

المراحل التاريخيّة للمرجعيّة الشيعيّة:

- **المرحلة الأولى: مرحلة الاتصال الفرديّ:**

امتدت من بداية الغيبة الكبرى (٣٢٩هـ) وحتى أيام العلّامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، الشكل المرجعيّ في هذه المرحلة: اتصالاتٌ فرديّةٌ مباشرةٌ بين (الفقهاء) و(المقلدين) ومن الواضح أن تتعدّد المرجعيّات بتعدّد البلدان الشيعيّة.

- **المرحلة الثانية: مرحلة الجهاز المرجعيّ:**

بدأت على يد الشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي العامليّ (٧٣٤هـ - ٧٨٦هـ)، برزت - في هذه المرحلة - ظاهرة الوكلاء للمرجعيّة وكانوا يُشكّلون حلقة الوصل بين المرجعيّة والقواعد الشعبيّة.

قام الشهيد الأول بهذا التطبيق في لبنان وسوريا، عيّن وكلاء وفرض جباية الحقوق الشرعيّة ولا زال نظام الوكلاء قائمًا حتى الآن.

- **المرحلة الثالثة: مرحلة التمركّز والاستقطاب:**

بدأت على يد الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفى سنة ١٢٢٨هـ) ومعاصريه من العلماء في هذه المرحلة ونتيجة وجود علاقات وارتباطات واسعة بين البلدان الشيعيّة نشأت «المرجعيّة المركزيّة» التي استقطبت أنظار الشيعة في العالم.

- **المرحلة الرابعة: مرحلة القيادة:**

مع بداية عصر الاستعمار [قبل قرنٍ تقريبًا] أخذ الكيان المرجعيّ الشيعيّ طورًا جديدًا، حيث تسلّم زمام القيادة، وبدأ يدخل معركة الصراع مع قوى الاستعمار الكافر، كما أخذ يدافع عن قضايا الأمّة ، واستمرت هذه المرحلة حتى العصر الحاضر مع حالات تذبذبٍ بين مدٍ وجزر، وظهورٍ وخفاء حسب الظروف والأوضاع.

تطوير أسلوب العمل المرجعيّ:

كان اتجاه الشهيد السيد الصدر ليس في تغيير «الصيغة المرجعيّة» فهذه الصيغة ثابتةٌ ومحددةٌ شرعًا تمثّل «مركز النيابة عن الإمام المعصوم» حيث تعني «القيادة النائبة عن المعصوم والممثّلة في الفقهاء العدول المؤهّلين».

وإنّما كان همّه في التطوير يتجه إلى الأبعاد التالية:

(١) تطوير الكفاءات الذاتيّة بما يتناسب مع المسؤوليات الكبيرة:

فإذا كانت الكفاءة الأصوليّة والفقهيّة (الكفاءة الاجتهاديّة)

وكذلك العدالة والتقوى تشكّلان أهمّ الكفاءات اللازمة للمرجعيّة - حسب الأدلّة الشرعيّة - فإنّ المرجعيّة في مضمونها القياديّ وفي مسؤولياتها المتجدّدة وفي تحدّياتها المتحرّكة تفرض التوفّر على مجموعة كفاءاتٍ أخرى ضروريّة، وقد تناولها الشهيد الصدر في محاضراته حول المرجعيّة.

(٢) تطوير أهداف المرجعيّة:

إنّ حركة الواقع في مستجدّاته ومتغيراته وتحدّياته تفرض الحاجة إلى تطوير الأهداف التفصيليّة للمرجعيّة، إنّ الهدف الاستراتيجيّ المركزيّ للمرجعيّة هدفٌ ثابت، إلا أنّ الأهداف المرحليّة والأهداف التفصيليّة أهدافٌ متحرّكةٌ ومتغيرةٌ، ممّا يفرض عملا متحركًا لتطوير هذه الأهداف، ممّا يعطي للمرجعيّة قدرتها على التواصل مع كلّ المراحل وكلّ الأوضاع.

(٣) تطوير أسلوب عمل المرجعيّة:

وفق كلّ المتغيرات والمستجدات برزت الحاجة إلى تطوير أسلوب العمل المرجعيّ، وكان همّ الشهيد الصدر كبيرًا في هذا الاتجاه، ومن خلال هذا الهمّ جاءت أطروحة الشهيد الصدر حول «المرجعيّة الصالحة» وقد حدّد أهدافها، ومراحلها، وهيكلتها، ولا تتسع هذه المقاربة العاجلة أن تستوعب الحديث عن تفصيلات هذه «الأطروحة»... ونقصر القول على تناول (الهيكليّة).

هيكليّة الجهاز المرجعي:

إنّ فكرة تطوير أسلوب العمل المرجعيّ تستهدف عند السيد الصدر ثلاثة أمورٍ:

الأمر الأول: إيجاد جهازٍ عمليٍّ تخطيطيٍّ وتنفيذيّ:

- ويقوم على أساس: الكفاءة، والتخصّص، وتقسيم العمل، واستيعاب كلّ مجالات العمل المرجعي الرشيد في ضوء الأهداف المحدّدة.
- هذا الجهاز يشكّل البديل للحاشية (جهازٍ عفوي مرتجل يتكون من أشخاص جمعتهم الصدفة والظروف الطبيعيّة لتغطية الحاجات الآنيّة بذهنيّة تجزيئيّة وبدون أهداف واضحة محدّدة).
- يشتمل الجهاز المرجعيّ المقترح على لجانٍ متعدّدة؛ تتكامل وتنمو بالتدريج إلى أن تستوعب كلّ إمكانات العمل المرجعي، وذكر الشهيد الصدر اللجان التالية:

١- لجنة أو لجان لتسيير الوضع الدراسيّ في الحوزة العلميّة: (تنظيم الدراسة، الإشراف، المناهج، إعداد الطالب).

٢- لجنة الإنتاج العلميّ: (البحوث العلميّة، متابعة الفكر العالميّ، الإصدارات العلميّة والفكريّة والثقافيّة).

٣- لجنة أو لجان مسؤولة عن شؤون علماء المناطق: (ضبط الأسماء والوكالات، متابعة عملهم وأوضاعهم).

٤- لجنة الاتصالات والعلاقات: (حركة المرجعيّة في كلّ علاقاتها واتصالاتها).

٥- لجنة رعاية العمل الإسلاميّ: (القيمومة والإشراف والتأييد والإسناد).

٦- اللجنة الماليّة: (الإشراف على حركة المال عند المرجعيّة).

وقد حدد الشهيد الصدر صلاحيات ووظائف هذه اللجان.

الأمر الثاني: تشكيل مجلس المرجعيّة:

يضمّ هذا المجلس: العلماء، القوى الممثّلة للمرجعيّة، جميع لجان الجهاز العمليّ التخطيطيّ والتنفيذيّ.

وهكذا: يتكوّن امتداد أفقيّ للمرجعيّة:

- ويتمركز العمل.
- وتشارك جميع القوى.
- ويتحرّك الأسلوب الموضوعي في ممارسة العمل المرجعيّ بدلًا من الأسلوب الفرديّ (المرجعيّة الذاتيّة).

الأمر الثالث: الامتداد الزمنيّ للمرجعيّة الصالحة:

- المرجع الجديد يبدأ ممارسة مسؤوليّاته من حيث انتهى المرجع السابق بدلًا من أن يبدأ من نقطة الصفر...
- يُتاح للمرجع الجديد الاحتفاظ بجهود المرجع السابق.
- في إطار المرجعيّة الموضوعيّة لا يوجد المرجع فقط بل يوجد المرجع كذات، ويوجد الموضوع وهو المجلس بما يضمّ من جهازٍ يُمارس العمل المرجعيّ الرشيد.

اقتراحات:

أضاف السيد الصدر – بعد ذلك – بعض الاقتراحات لمشروع المرجعيّة الموضوعيّة منها:

١- اقتراح إنشاء حوزاتٍ علميّةٍ فرعيّةٍ في المناطق من أجل رفد الحوزة العلميّة الأمّ.

٢- اقتراح إيجاد علماء في الفقه والأصول والمفاهيم الإسلاميّة في سائر الأصناف والفصائل (الأطباء، المهندسين، المدرسين...) ولا يشترط في هؤلاء التخصّص في الفقه والأصول، ويكون كلٌّ من هؤلاء مصدر إشعاعٍ في الوسط الذي يعمل فيه..

٣-ربط الجانب المالي للوكلاء وعلماء المناطق بالمرجعيّة مباشرةً عن طريق:

- راتبٍ شهريٍّ يكفل للعالم حاجاته الضروريّة.
- عطاءٍ مرنٍ وغير محددٍ للعمل الإسلاميّ في المنطقة وهذا العطاء على حجم نشاط العالم ودوره وفعّالياته.

الشهيد الصدر ونظريّة ولاية الفقيه:

هل تملك المرجعيّة صلاحية الولاية العامّة على شؤون المسلمين؟

١- توجد مجموعة نظرياتٍ أختار منها ثلاث نظريّات:

- **النظريّة الأولى:** لا تُعطي للمرجعيّة هذه الصلاحيّة.

- **النظريّة الثانية:** تُعطي هذه الصلاحيّة في حدود ما تتوقّف عليه إدارة الدولة الإسلاميّة.

- **النظريّة الثالثة:** تُعطي للمرجعيّة صلاحيّة الولاية العامة المطلقة.

ما رأي الشهيد السيد الصدر؟

- في البداية (١٩٥٨م) كان رأيه الفقهيّ أنّ شكل نظام الحكم في عصر الغيبة يقوم على أساس (الشورى) انطلاقًا من الآية ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[١] ومسؤوليّة الفقهاء أن يُمارسوا تخصّصهم من ضمان سلامة المسيرة الإسلاميّة.

- وبعد فترةٍ اتجه إلى القول بنظريّة ولاية الفقيه المطلقة استنادًا إلى التوقيع المعروف عن الإمام الحجّة عليه السلام: «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم»[٢] وقد استفاد منه دلالته على ولاية الفقيه.

- وفي آخر قناعاته الفقهيّة توصّل إلى المزج بين (الولاية العامّة) و(الشورى):

---

(١) الشورى: ٣٨.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧/ ١٤٠، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، ب١١/ ح٩. (ط١- ١٤١٢هـ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم - إيران).

- قبل قيام الحكومة الإسلاميّة للفقيه ولاية عامة.

- بعد قيام الحكومة الإسلاميّة للفقيه حقّ الولاية العامة كلّما دعت الحاجة على استعمالها، وللأمّة حقّ اختيار القائد (الولي) وفق المواصفات التي حدّدها المشروع الإسلاميّ، كما للأمّة الحقّ في الإشراف على هذا القائد في حسن أدائه والتزامه.

الشهيد الصدر ﷺ وتطوير الحوزة

كانت اهتمامات الشهيد السيد محمد باقر الصدر تتّسع لكلّ المساحات والمفاصل في حياة الأمّة، فلم يكن المشروع التغييريّ الذي طرحه الشهيد الصدر مشروعًا يستهدف تغييرًا جزئيًّا في واقع المسلمين، وإنما هو مشروعٌ شموليٌّ يهدف إلى إعادة صوغ الواقع بكلّ امتداداته ومكوّناته، وقد بدا هذا واضحًا من خلال الأطروحات والأبحاث والدراسات التي قدّمها الشهيد الصدر، والمهمّ أن نفهم أنّ مشروع الشهيد السيد الصدر مشروعٌ شاملٌ حاول أن يستوعب كلّ الأبعاد والمجالات والامتدادات، انطلاقًا من وعي بضرورة أن يتحرّك الإسلام في كلّ المساحات الفكريّة والثقافيّة والروحيّة والأخلاقيّة والتربويّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة.

وهذا يفرض بكلّ تأكيدٍ أن يحدث تغييرٌ جذريٌّ في أساليب العمل على كلّ المستويات، وما لم يحدث هذا التغيير فلن يتمكّن المشروع الإسلاميّ الشامل أن يتحرّك، وستُحاصر كلّ الأوضاع الجديدة في مجتمعات الإنسان.

من الاهتمامات الكبيرة جدًا التي عاشت في وعي الشهيد الصدر وفي وجدانه، مسألة العمل من أجل تطوير الحوزة العلميّة...

ما رؤية الشهيد الصدر تجاه الحوزة؟

إنّه يعتبر الحوزة العلميّة قلب الإسلام ومركز ثقله في عصر الغيبة الكبرى، وهي ثانيًا صرحٌ كبيرٌ امتدّ عمره أكثر من ألف عام، وقد شاده وحافظ عليه علماء طيلة هذا التاريخ الطويل، ثمّ إنّها موقع القيادة الإسلاميّة ممثّلةً في المرجعيّة الدينيّة التي هي امتداد للإمامة.

وانطلاقًا من هذه الرؤية لموقع الحوزة العلميّة كان الشهيد السيد الصدر يحمل همّ تطوير هذا الموقع ليكون في مستوى مسؤولياته الكبيرة جدًا، وليكون قادرًا على أداء مهمّاته الخطيرة بما يتناسب مع كلّ المتغيرات والمستجدّات والتطوّرات والتحدّيات والإشكالات.

وفي هذا الاتجاه كانت للشهيد الصدر مجموعة ممارسات:

(١) خَلْقُ وعيٍ تغييريٍّ في الذهنيّة الحوزويّة:

كانت له محاضراتٌ وتوجيهاتٌ لعلماء وطلاب الحوزة العلميّة تُركّز على ضرورة التفكير في أساليب العمل، وضرورة التفكير في تطوير الأساليب، وألا تجمُد الحوزة على الأساليب الموروثة عن الآباء والأجداد.

هذه بعض كلماته بشأن هذه النقطة: «**لا بدّ لنا أن نتحرّر من النزعة الاستصحابيّة، من نزعة التمسّك بما كان حرفيًا بالنسبة إلى كلّ أساليب العمل، هذه النزعة التي تبلغ القمّة عند بعضنا، ولأضرب**

أبسط الأمثلة: حتى أنّ كتابًا دراسيًّا مثلًا إذا أُريدَ تغييره إلى كتاب دراسيٍّ آخر أفضل منه، حينئذٍ تقف هذه النزعة الاستصحابيّة في مقابل ذلك، إذا أُريدَ تغيير كتاب بكتابٍ آخر في مجال التدريس - وهذا أضْأَلُ مظاهر التغيير - إذا أُريد ذلك حينئذٍ يُقال: لا، ليس الأمر هكذا، لا بدّ من الوقوف، لا بدّ من الثّبات والاستمرار على الكتاب نفسه الذي كان يدرس فيه الشيخ الأنصاري رضوان الله عليه، أو المحقّق القمّي رضوان الله عليه، على هذه النزعة الاستصحابيّة التي تجعلنا دائمًا نعيش مع أمّة قد مضى وقتها، مع أمّة قد ماتت وانتهت بظروفها وملابساتها، لأنّنا نعيش بأساليب منسجمة مع أمّة، تلك الأمّة لم يبقْ منها أحد، تلك انتهت وحدثت أمّة أخرى ذات أفكارٍ أخرى، ذات اتجاهاتٍ أخرى، ذات ظروفٍ وملابساتٍ أخرى... فحينئذٍ من الطبيعي ألا نوفّق في العمل، لأنّنا نتعامل مع أمّةٍ ماتت، والأمّة الحيّة لا نتعامل معها، فمهما يكن من تأثيرنا فسيكون تأثيرًا سلبيًا، لأنّ موضوع العمل غير موجودٍ في الخارج، موضوع العمل ميّت، وما هو الموجود في الخارج لا نتعامل معه...»[1].

«فلا بدّ أن نجعل جزءًا من وظيفتنا أن نطرح على أنفسنا، أن نطرح على أساتذتنا، أن نطرح على زملائنا، أن نطرح في كلّ مكان هذه الأسئلة: ما العمل؟ كيف العمل؟ ما أساليب العمل؟ كيف يمكن تجديد أساليب العمل بالشكل الذي ينسجم مع الأمّة اليوم؟

---

(١) محاضرة للشهيد الصدر حول (المحنة) طُبعت في كرّاس (هكذا قال الصدر في المحنة وحبّ الدنيا)، ص٦٢-٦١.

هذه أسئلةٌ قد يكون جوابها صعبًا في بداية الأمر، لأنّه ليست هناك مطالعات، ليس هناك ترويضٌ فكريٌّ على الجواب عنها، قد تجد أنّ الجواب عن مسألةٍ أصوليّةٍ سهل، لأنّ هذا الإنسان الذي تسأله قد درس الأصول عشرين سنة، وإذ أنّ هذه الأسئلة بنفسها أيضًا أسئلة دقيقة ومرتبطة بمدى خبرة الإنسان وتجاربه واطّلاعه على ظروف العالم، لهذا قد يجد الصعوبة في الجواب عن هذه الأسئلة، ولكن هذه الصعوبة لا بدّ من تذليلها بالبحث والتفكير ومواصلة البحث والتفكير...»[1].

في المقطع الذي نقلناه، يتحدّث الشهيد الصدر عن أساليب وضرورة تطوير وتجديد هذه الأساليب، وأما النظريّة الإسلاميّة نفسها فهي ثابتةٌ لا تتغير، وجاء في كلمات الشهيد الصدر هذه الفقرات:

- **«نحن عندنا (نظريّة) وعندنا (عمل)، النظريّة هي الإسلام، ولا شكّ ولا ريب أنّ ديننا ثابتٌ لا يتغير، ولا يتجدّد، ولا يمكن في يومٍ من الأيام أن يُفترض كون هذا الدين بحاجةٍ إلى تغيير أو تحوير أو تطوير...»[2].**

- **«من الخطأ ألف مرّةٍ أن نقول: إنّ الإسلام يتكيّف وفق الزّمان، الإسلام فوق الزّمان والمكان لأنّه من وضع الذي خلق الزّمان**

---

(١) هكذا قال الصدر، ص٦٤-٦٥.

(٢) هكذا قال الصدر، ص٥٨-٥٩.

والمكان، فقد قُدّر لهذه الرسالة القدرة على الامتداد مهما امتدّ المكان والزّمان...»[١].

- **«الصيغة النظريّة للإسلام صيغةٌ ثابتةٌ فوق التجدّد، فوق التغير، لا بدّ لها أن تحكم كلّ عوامل التغير وكلّ عوامل التجدّد، لا إنّ عوامل التجدّد والتغير تحكم الرسالة، تحكم الإسلام، بل الإسلام يحكم كلّ عوامل التجدّد...»[٢].**

وهنا أُنبّه على مسألة، أن يصف الشهيد الصدر النظريّة الإسلاميّة بالثبات وعدم التجدّد والتغير لا يعني الجمود والركود في مواجهة حركة الزّمان والمكان، فالإسلام في منظومته العقيديّة والفكريّة والروحيّة والأخلاقيّة والتشريعيّة يملك من المكوّنات ما يعطيه القدرة على استيعاب كلّ المتغيرات، وكلّ المستجدّات، وكلّ التطوّرات، لا بمعنى أن يتكيّف وفق ضغوط الواقع وإملاءاته ومؤثّراته ليكون مرهونًا بما تفرضه هذه الضغوط والإملاءات والمؤثرات، وإنما بمعنى أن يُحرّك الواقع بكلّ ضروراته وحاجاته ومتغيراته وِفق رؤى الدين وقيمه ومنظوراته، حيث توافرت هذه الرؤى والقيم والمنظورات في كلّ زمان وفي كلّ مكان.

---

(١) هكذا قال الصدر، ص٥٩.

(٢) هكذا قال الصدر، ص٥٩.

(٢) التقريب بين الحوزة والجامعة:

كانت بين الحوزة والجامعة مسافة واسعة: (رؤية الجامعة للحوزة، رؤية الحوزة للجامعة).

دور الشهيد في التقريب بين الحوزة والجامعة:

مارس دورًا كبيرًا في هذا الاتجاه من خلال:

١- الكتابات التي ألّفها الشهيد الصدر.

٢- مشروعُ كلّية أصول الدين التي أسّسها السيد العسكريّ وبمساندةٍ ودعم من قِبَل الشهيد الصدر..

٣- العلاقات التي أقامها الشهيد مع أساتذة الجامعات، وكانوا يزورونه في العطل الرسميّة

٤- حثّه خرّيجي الجامعات على الالتحاق بالحوزات.

٥- إقامة دوراتٍ حوزويّةٍ لطلاب الجامعة.

٦- الارتقاء بوعي طلاب الحوزة ليكونوا قادرين على استقطاب طلاب الجامعة.

٧- تشجيع الأنشطة القادرة على استقطاب طلاب الجامعة.

٨- تشجيع حركة التواصل بين الحوزويّين والجامعيّين.

الشهيد الصدر ﷺ
وإصلاح المنبر الحسينيّ

من اهتمامات الشهيد السيد الصدر البارزة التفكير الجادّ في النهوض بأداء المنبر الحسينيّ، وفي هذا الاتجاه أكّد الشهيد الصدر على مجموعة محاور أساسيّة:

(١) الارتقاء بمستوى أهداف ومسؤوليّات المنبر الحسينيّ:

كان الشهيد الصدر يؤكّد في أحاديثه مع الخطباء ضرورة أن يرتقي المنبر الحسينيّ بمستوى مسؤوليّاته وأهدافه في ضوء المتغيرات والمستجدّات والتطوّرات في حركة الحياة، وفي حركة الأجيال، وبمقدار ما يرتقي هذا المستوى يكون للمنبر الحسينيّ حضوره الفاعل، ويكون له دوره الكبير في التعاطي مع الواقع بكلّ مكوّناته الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

إنّ مستوى المسؤوليّات والأهداف هو الذي يحدّد للمنبر الحسينيّ آفاق الحركة والانطلاق، فإذا كان دور المنبر الحسينيّ في مرحلةٍ من المراحل هو استثارة الجانب المأساويّ في واقعة كربلاء، وإذا كان دوره العرض التاريخيّ لقضيّة الإمام الحسين عليه السلام، وإذا كان دوره ممارسة بعض الوعظ والإرشاد، وإذا كان دوره التعاطي

المبسّط مع جانبٍ من أفكار الإسلام وعقائده، وجانبٍ من ثقافة الدّين وقيمه، إذا كان هذا دور المنبر الحسينيّ إلى وقتٍ قريب، فإنّ تطوّرات الزمان وحاجات العصر وتحديات الواقع تفرض على المنبر الحسينيّ أن يرتقي ويتجدّد في مسؤوليّاته الفكريّة والثقافيّة، والتربويّة والاجتماعيّة والسياسيّة، وبقيّة المسؤوليّات.

هذا هو المحور الأول الذي أكّده الشهيد الصدر في الكثير من أحاديثه والكثير من لقاءاته مع المتصدّين للشأن الحسينيّ.

(٢) الارتقاء بمستوى خطباء المنبر:

إنّ الارتقاء والتطوّر والتجدّد في مستوى أهداف ومسؤوليات المنبر الحسينيّ يفرض ضرورة الارتقاء والتطوّر والتجدّد في مستوى مؤهلات وإمكانات وكفاءات واستعدادات خطباء المنبر الحسينيّ، وإلا بقيت تلك الأهداف والمسؤوليات معطّلة ومجمّدة وفاقدة للقدرة على الحركة والانطلاق، فالخطباء هم أدوات الحركة والانطلاق، فإذا لم تكن هذه الأدوات بمستوى الأهداف والمسؤوليات أصيب المنبر الحسينيّ بشللٍ وركودٍ وجمودٍ وتخلّف.

كان الشهيد الصدر يدفع بالخطباء في اتجاه الارتقاء بمستواهم العلميّ والثقافيّ والروحيّ، وكان يرى في الخطيب «اللسان المعبر عن المرجعيّة الرشيدة، بل هو الوسيط الأمين بين المرجعيّة والأمّة».

فإذا كانت للشهيد السيد الصدر رؤيته وأطروحته في تطوير «أسلوب العمل المرجعيّ» وفي تطوير «أهداف العمل المرجعيّ» وفي تطوير «الكفاءات الذاتيّة للمرجعيّة» كلّ ذلك انطلاقًا من فهم أصيلٍ لمسؤوليات «القيادة الدينيّة»، وقراءة بصيرةٍ لكلّ المستَجدات والمتغيرات والضرورات والتحديات والأزمات والإشكالات.

وما دام الخطيب - في منظور الشهيد الصدر - هو «اللسان المعبر عن المرجعيّة الرشيدة والوسيط الأمين بين المرجعيّة والأمّة»، فيفترض في هذا (اللسان) وفي هذا (الوسيط) أن يكون على درجة عاليةٍ من الكفاءة تؤهله لأن يصبح «لسان المرجعيّة الرشيدة» في كلّ أهدافها وطموحاتها ومسؤوليّاتها، كما حدّدتها أطروحة الشهيد السيد الصدر عن «المرجعيّة الصالحة» أو «المرجعيّة الموضوعيّة».

ولن يكون خطيب المنبر الحسيني في مستوى هذه المهمّة الكبيرة، وفي مستوى تحمّل المسؤوليّات الخطيرة إلا إذا ارتقى وتطوّر في مستوى مؤهلاته العلميّة والثقافيّة، ومؤهلاته الروحيّة والأخلاقيّة، والسلوكيّة، ومؤهلاته الاجتماعيّة والسياسيّة، ومؤهلاته الفنّية والخطابيّة.

(٣) مشروع المؤسّسة المركزيّة للخطابة:

وهنا نترك للشيخ الوائلي رحمه الله أن يتحدّث عن مشروع الشهيد السيد الصدر في تطوير المنبر الحسينيّ، يقول المرحوم الوائلي:

«كنت أتردّد على مجلس آية الله الشهيد الصدر السيد محمد باقر تغمّده الله برحمته، وكان يطرح هموم الساحة من كلّ أبعادها، ومن الهموم التي شغلت باله قضيّة المنبر الحسينيّ، وكان يدعوني إلى تحمّل شيءٍ من مسؤولية المنبر ولو بعملٍ بسيطٍ يتطوّر بعد ذلك، وبعد مداولاتٍ كثيرةٍ انتهى الأمر إلى أن قال: لك عليّ الأمور الآتية:

١- أن أدمج خطباء المنبر بالحوزة العلميّة حتى يحصلوا على ما يحصل عليه طالب العلم من مكاسب مادّية وروحيّة وعلميّة، وبذلك تزول كثيرٌ من المشكلات عن طريقهم.

٢- أن أعمل على إيجاد صيغةٍ تؤمّن لهم ضمانًا لأيام عجزهم حتى لا يتعرضوا لذلٍ أو ضياعٍ كما هو الوضع السائد.

٣- أن تكون لهم مؤسسة مركزيّة يصدرون عنها في مناهج موحّدة، وتوجيهات تصدر لهم في ذلك، كما تعمل هذه المؤسسة على التعريف بهم في داخل العراق وخارجه ما يعطيهم زخمًا ومكانةً معترفًا بها، وتكون المؤسسة تحت ظلّ المرجعيّة...»[1].

هذه هي العناوين الرئيسيّة -كما يقول المرحوم الوائلي ﷺ- وفيها تفاصيل وملاحق تستوعب جوانب الفكرة.

---

(١) الوائلي: تجاربي مع المنبر، ص١١١. (طبعة انتشارات الشريف الرضي ١٣٧٨هـ.ش، قم- إيران)

ويستطرد الشهيد الصدر مخاطبا الشيخ الوائلي ﵀: **«أمّا الذي عليك فهو أن تضع خبرتك في هذا الميدان تحت أيدي طلّاب هذه المؤسّسة، وتتعاون مع زملائك الذين تعرفهم بالكفاءة لسدّ الثغرات المحتملة، وتقوموا بأدوار تنويهٍ عن هذه المؤسّسة في المجتمعات ذات الشأن، وفي الوقت ذاته تستمروا في تطوير أنفسكم...»**.

يقول الشيخ الوائلي: **«هذه مجمل الخطوط العامّة التي دار فيها الحديث مع الشهيد الصدر ﷺ»**.

ثمّ يضيف الشيخ الوائلي ﵀: «وانتهينا إلى أخذ فترةٍ من الزّمن للتوافر على دراسة أبعاد المسألة والعقبات المحتملة وطرق تذليلها، وأسلوب العمل الممكن الذي تسمح به الأوضاع وتهضمه، وقد دوّنت تفاصيل ذلك في وريقات تركتها في مكتبتي بالنجف ولا أعرف مصيرها...».

ويُتابع الوائلي كلامه: «وتتابعت الحوادث بعد ذلك فاضّطرتني إلى الخروج من العراق إلى الكويت ثمّ إلى الشام وصورة المشروع ماثلة في ذهني، والأمل والرغبة في زوال الغمّة وإمكان تجسيد الفكرة يملأ جوانحي ولكنّي فوجئت باعتقال الشهيد مع شقيقته الطاهرة ورجوت أن تكون سحابة عابرة، ولكن نزل علينا نبأ استشهاده نزول الصاعقة وشعرنا بفداحة الخطب وشراسة الهجمة، واختفت

عنّا جبهةٌ تشعّ بالإيمان، وفكرٌ يفجّر المعرفة، وخلقٌ يملأ الحياة طهرًا، ورفعنا دمًا طاهرًا سال من أجل أن يُعبد الله ولا تُعبد الأوثان، ومن أجل أن يُوحّد المسلمون تحت لواءٍ واحد، وتُطرد عنهم أصنام العصبيّة، ورفعناه لنضعه إلى جانب دماء آبائه التي سالت على الدرب نفسه، وسلكناه في قافلةٍ تضمّ الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ولا حول ولا قوة إلا بالله، فانطوى الأمل، وذهبت الفكرة واحتُسِبت مع حاملها عند الله، وهو خيرٌ وأبقى...»[1].

(١) المصدر نفسه: ص ١١٢.

ذوبوا في الإمام الخميني قدس سره

قال سيدنا الشهيد السيد محمد باقر الصدر: «ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب الإمام في الإسلام» هذا الذوبان الواعي والبصير.

الشهيد السيد الصدر يطلب منّا أن نذوب في الإمام الخميني قدس سره، والذوبان درجةٌ عاليةٌ من العشق والولاء والانصهار والانقياد، ثمّ يضعنا الشهيد الصدر أمام المعنى الواعي للذوبان.

لماذا يجب أن نذوب في الإمام الخميني قدس سره؟

لأنّ الإمام ذاب في رسول الله صلى الله عليه وآله، ذاب في الأئمّة الطاهرين من آل محمدٍ صلى الله عليه وآله، ذاب في الصدّيقة الزّهراء بنت محمد صلى الله عليه وآله، ذاب في الجهاد من أجل الإسلام ومبادئ الإسلام وقيم الإسلام.

فالذوبان في الإمام الخميني ذوبانٌ في الإسلام والقرآن، وذوبانٌ في الله وأنبيائه وأوليائه، وذوبانٌ في خطّ الجهاد والشهادة.

لا نريد أن ندّعي العصمة للإمام الخميني، فالعصمة من خصائص الأنبياء والأئمّة عليهم السلام إلا أنّه رضوان الله عليه جسّد درجةً عاليةً جدًا من الارتباط بالله سبحانه، ومن الذوبان في خطّ الله، وفي طاعته

لله، وفي الجهاد من أجل دين الله، فكان الفقيه النائب بالحقّ عن الإمام الحجّة أرواحنا فداه، إنّها النيابة العامّة - طبعًا - وليست النيابة الخاصة التي انتهت بانتهاء الغيبة الصغرى، ولا يدّعيها مدّعٍ بعد ذلك إلا كان هذا المدّعي مفتريًا كذّابًا ملعونًا.

قال الشهيد الصدر كلمته الجريئة في وجه طاغية هذا العصر صدّام المجرم، وهو رضوان الله عليه يعلم بكلّ وضوحٍ ماذا تعني الكلمة في وجه هذا الطاغية، وهو يعلم كلّ العلم ماذا يعني الثّمن لهذا الموقف، لقد أصدر فتواه بحرمة الانتماء لحزب البعث وهو يعلم ماذا تكلّفه هذه الفتوى، وأعلن موقفه بكلّ شموخٍ وصلابةٍ في دعم الثورة الإسلاميّة في إيران، وهو يعلم أنّ ذلك يكلفه حياته، ولم تثنه كلمات المُخذّلين والمُجبّنين والمُخدّرين، كان يقول في رد هذه الكلمات:

«إنَّ هؤلاء الذين يطلبون منّي أن أتريّث وأن أتخذ موقفًا من الثورة الإسلاميّة لا يثير السلطة الحاكمة في العراق حفاظًا على حياتي ومرجعيّتي لا يعرفون من الأمور إلا ظواهرها، إنّ الواجب على هذه المرجعيّة وعلى النجف كلّها أن تتخذ الموقف المناسب والمطلوب تجاه الثورة الإسلاميّة في إيران، ما هو هدف المرجعيّات على طول التاريخ؟ أليس هو إقامة حكم الله عزّ وجلّ على الأرض؟ وها هي مرجعيّة الإمام الخميني ﷺ قد حقّقت ذلك، فهل من المنطقيّ أن أقف موقف المتفرّج، ولا أتخذ الموقف الصحيح والمناسب حتّى لو كلّفني ذلك حياتي وكلّ ما أملك؟!» .

وقال قولته الشهيرة التي طالب فيها طلّابه الذين هاجروا إلى إيران أن يذوبوا في الإمام الخميني وفي مرجعيّته كما ذاب هو في الإسلام وفي أهداف الإسلام، واستمر السيد الصدر يتحدّى النظام الغاشم، واستمر يوجّه نداءاته إلى الشعب العراقي المظلوم، وهو يخاطبه:

«أيّها الشعب العراقي المسلم، إنّي أودّ أن أؤكّد لك - يا شعب آبائي وأجدادي - أنّي معك وفي أعماقك، ولن أتخلّى عنك في محنتك، وسأبذل آخر قطرةٍ من دمي في سبيل الله من أجلك».

أيّها الشهيد الصدر العظيم، هذا هو شعب آبائك وأجدادك في العراق بعد أن تحرّر من قبضة الطاغية صدّام، أصبح أسيرًا تحت رحمة الغطرسة الأمريكيّة الطائشة، هذا هو شعب آبائك وأجدادك في العراق يتساقط أبناؤه، رجاله، نساؤه، أطفاله ضحايا قصف الطيران الأمريكي، وضحايا نيران قوات الاحتلال الجاثم على صدر العراق، هذا هو شعب آبائك وأجدادك في العراق يعيش المحنة العمياء، احتلالٌ كافر، بقايا النظام البائد تعبث بالأمن، قوى الشرّ الحاقدة تنشر الرعب، صنّاع الفتنة يتحرّكون، أصحاب الأطماع يسرقون كلّ شيء على أرض العراق، أيّها الشهيد الصدر، هذا هو شعب آبائك وأجدادك يحترق بكلّ هذا الواقع المأزوم الذي يعيشه، والعالم صامت، ومنظّمة الأمم صامتة، ومجلس الأمن صامت، والمؤسّسات الدولية صامتة، وأنظمة الدول العربية والإسلاميّة صامتة، والشارع

العربيّ والإسلاميّ صامت، أيّها الشهيد الصدر وهذه ذكرى استشهادك تطلّ على شعب العراق، وهذه ذكرى دمك الطاهرة، ودم شقيقتك العلويّة التي شاركتك مشوار الجهاد والشهادة، تطلّ على أبناء أمتك والقلوب المؤمنة ضارعة إلى الله سبحانه، متوسلة بجهادك، بصبرك، بعطائك، بتضحياتك، بدمك الزكي، وبدم الطاهرة أختك بنت الهدى، وبكلّ الدماء التي سالت على أرض العراق من أجل المبدأ والعقيدة، بدءًا من الدم المقدّس الذي تروّى منه محراب الكوفة يوم هوى السيف الغادر على مفرق أمير المؤمنين عليه السلام، ومن الدم المقدّس الذي تروّت منه رمال كربلاء دم الشهيد السبط الحسين عليه السلام، ودم الصفوة من أهل بيته وأصحابه، وانتهاءً بآخر قطرة دم حرام تسقط على أرض العراق، وعلى أرض فلسطين، وعلى كلّ أرض تحتضن الشهداء والمجاهدين، بهذه الدماء نتوسل إلى الله عزّ وجلّ أن يحمي شعبنا في العراق، وشعبنا في فلسطين، وكلّ شعوبنا في كلّ مكان، من كلّ المحن والفتن والمكائد والمؤامرات، ومن كلّ العبث والمفاسد والضلالات، ومن ظلم الظالمين، وكيد الطغاة والمجرمين، وجور الجائرين، وبغي الأعداء المتربصين، ومن كلّ الذين يريدون بهذه الأمّة سوءًا، وبهذا الدين كيدًا، وبهذه الشريعة شرًا، إنّه تعالى سميع مجيب، متفضل منّان.

الشهيد الصدر ﵀
يتحدّى كلّ المساومات

لقد دأب أعداء الإسلام وأعداء الدعوة إلى الله أن يضعوا في طريق الدعاة والعاملين العقبات من أجل أن يجمِّدوا حركة الرسالة وحركة الدعوة، ومن أساليب التصدّي والمواجهة التي مارسها أعداء الإسلام وأعداء الدعوة ولا زالوا يمارسونها (أسلوب الإغراء والمساومة)، الإغراء: تقديم عروضٍ مغريةٍ من أجل أن يتنازل العاملون والدعاة إلى الله عن مواقفهم وأهدافهم ومبادئهم، المساومة: تنازلات متبادلة.

مارس المشركون في بداية الدعوة هذا الأسلوب مع رسول الله ﷺ:

- اجتمعوا إليه مرّة فقالوا: يا محمد شتمت الآلهة، وسفّهت الأحلام، وفرّقت الجماعة، فإن طلبت مالا أعطيناك، أو الشرف سوّدناك، فقال ﷺ: **«ليس شيءٌ من ذلك بل بعثني الله إليكم رسولا»**[1].

- وقال ﷺ مرّة مقابل إغراءاتهم: **«يا عم والله لو وُضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أُنفذه أو أُقتل دونه»**[2].

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ج١٨/ ٢٠١، كتاب النبي ﷺ، ب١ من أبواب أحواله ﷺ ح٣٢. (ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان).

(٢) المصدر نفسه، ج٩/ ١٤٣، ب١ (باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن).

- وأما مساوماتهم لرسول الله ﷺ فقد قالوا له: نعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة، فكان الجواب: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ۝ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1].

وما أكثر ما مارس الطغاة هذا الأسلوب شراء الذّمم والضمائر، وما أكثر من باعوا دينهم وقيمهم ومبادئهم من أجل حفنةٍ من المال، ومِن منصب، ومِن عروضٍ زائفة ما هي إلا متاع أيام، أذكر لكم شاهدًا من التاريخ، وهناك شواهد وشواهد في واقعنا المعاصر:

الشاهد من التاريخ:

حدّثتنا كتب التاريخ عن عبيد الله البزّاز النيسابوريّ وكان مسنًّا قال: كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة، فرحلت إليه في بعض الأيام، فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعليّ ثياب السفر لم أغيرها وذلك في شهر رمضان وقت صلاه الظهر، فلمّا دخلت عليه رأيته في بيتٍ يجرى فيه الماء، فسلّمت عليه وجلست، فأتى [بطشتٍ] وإبريق فغسل يديه ثمّ أمرني فغسلت يديّ، وأُحضرت المائدة وذهب عنّى أنّى صائمٌ وأني في شهر رمضان، ثمّ ذكرت فأمسكت يدي فقال لي حميد: ما لك لا تأكل ؟ فقلت: أيّها الأمير هذا شهر رمضان ولستُ بمريضٍ ولا بي علة توجب الإفطار، ولعلّ الأمير له عذرٌ في ذلك أو علةٌ توجب الإفطار فقال: ما بي علة توجب الإفطار وإني لصحيح

(١) سورة الكافرون: ١ - ٦.

البدن، ثمّ دمعت عيناه وبكى فقلت له بعد ما فرغ من طعامه: ما يُبكيك أيّها الأمير ؟ فقال: أنفذ هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب، فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتّقد وسيفًا أخضر مسلولا وبين يديه خادمٌ واقفٌ، فلمّا قمت بين يديه رفع رأسه إليّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال، فأطرق ثمّ أذن لي في الانصراف فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إليّ وقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت في نفسي: إنّا لله أخاف أن يكون قد عزم على قتلي وأنّه لمّا رآني استحيى منّي، فعدت إلى بين يديه فرفع رأسه إليّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد، فتبسّم ضاحكًا، ثمّ أذن لي في الانصراف، فلمّا دخلت منزلي لم ألبث أن عاد إليّ الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين، فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه إليّ وقال لي كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدّين فضحك ثمّ قال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به الخادم، قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه، وجاء بي إلى بيتٍ بابه مغلقٌ ففتحه فإذا فيه بئرٌ في وسطه وثلاثة بيوتٍ أبوابها مغلقة، ففتح باب بيتٍ منها فإذا فيه عشرون نفسًا عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبان مقيدون فقال لي: إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء وكانوا كلّهم علويّة من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام، فجعل يُخرِج إليّ واحدًا بعد واحدٍ فأضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم، ثمّ رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر، ثمّ فتح بابَ بيتٍ آخر، فإذا فيه أيضًا عشرون نفسًا من العلويّة من

ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام مقيّدون، فقال لي: إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء فجعل يُخرج إليّ واحدًا بعد واحدٍ فأضرب عنقه ويرمى به في تلك البئر، حتى أتيت إلى آخرهم، ثمّ فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفسًا من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام مقيدون عليهم الشعور والذوائب فقال لي: إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء أيضًا، فجعل يُخرج إليّ واحدًا بعد واحدٍ فأضربُ عنقه ويرمى به في تلك البئر، حتى أتيت على تسعة عشر نفسًا منهم وبقى شيخًا منهم عليه شعرٌ، فقال لي: تبًا لك يا ميشوم! أيّ عذرٍ لك يوم القيامة إذا قدمت على جدّنا رسول الله ﷺ وقد قتلت من أولاده ستين نفسًا قد ولدهم عليّ وفاطمة عليهما السلام؟! فارتعشت يدي وارتعدت فرايصي فنظر إليّ الخادم مُغضبًا وزبرني فأتيت على ذلك الشيخ أيضًا فقتلته ورمى به في تلك البئر، فإذا كان فعلى هذا وقد قتلت ستين نفسًا من ولد رسول الله ﷺ فما ينفعني صومي وصلاتي؟! وأنا لا أشكّ أني مُخلدٌ في النّار»[1].

هكذا يتحوّل عملاء الحكام والسلاطين إلى مجرمين، حينما تنمسخ في داخلهم الضمائر وحينما يبيعون دينهم بأثمانٍ بخسة.

وما أكثر المتاجرين بدينهم وبضمائرهم بمنصبٍ هنا أو موقعٍ هناك، وكم باع الكثيرون مبادئهم وأهدافهم ومواقفهم من أجل مالٍ أو وظيفةٍ أو سلطة، هكذا تصنع الإغراءات والمساومات.

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٤٨/١٧٧، أبواب تاريخ الإمام الكاظم عليه السلام، ب٧/ ح٢٠. (ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان).

وفي المقابل يوجد أصحاب المواقف المبدئيّة، الذين تحدّوا كلّ المغريات، وتحدّوا كلّ المساومات، وصمدوا صمود الأبطال وصمود الأحرار.

ولنا في صمود الشهيد السيد محمد باقر الصدر وفي عنفوانه وشموخه أكبر شاهدٍ في هذا العصر، فقد تحدّى بكلّ صلابةٍ وكبرياء مساومات النظام الحاكم في العراق، وكلّ إغراءاته، وكلّ بطشه وعنفه وتهديداته..

كيف حاول نظام الطاغية صدام أن يمارس (المساومات) مع الشهيد السيد محمد باقر الصدر؟ وكيف رفض شهيدنا السيد وبكلّ إباءٍ وعزّة تلك المساومات؟ ممّا دفع النظام الغاشم إلى الإقدام على ارتكاب الجريمة الشنعاء في قتل الشهيد الصدر وأخته العلويّة بنت الهدى.

كيف تحدّى الشهيد السيد محمد باقر الصدر ﵀ مساومات النظام؟

كما هو دأب الأنظمة المتسلّطة تحاول دائمًا أن تشتري الذّمم والضمائر وتقدّم من أجل ذلك عروضًا مغرية، وخاصةً إذا كان الأمر يتعلّق برموزٍ وقياداتٍ وشخصيّاتٍ كبيرة، فالكثيرون يسقطون أمام الإغراءات والمساومات، ولكنّ أصحاب المبادئ والذين يحملون صلابة الإيمان وعنفوان العقيدة يهزأون بكلّ الإغراءات، ويتحدّون كلّ المساومات، ويُفشلون كلّ أطماع الأنظمة.

حاول النظام المتسلّط في العراق أن يمارس هذه اللعبة، لعبة الإغراءات والمساومات مع الشهيد السيد محمد باقر الصدر، إلا أنّ كلّ محاولات النظام باءت بالخيبة والفشل، وتحطّمت على صخرة إيمان الشهيد الصدر رضوان الله عليه، وهو الذي استمدّ صلابته من صلابة جده المصطفى ﷺ حيث قال: **«يا عم والله لو وُضعَت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أُنفذه أو أُقتل دونه»**[1].

وهو الذي استمدّ عنفوانه من عنفوان جده الإمام الحسين عليه السلام حيث قال: **«والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أُقرّ لكم إقرار العبيد»**[2].

جاء مبعوث النظام إلى الشهيد الصدر وقال له: لأجل حلّ المشكلة وضعت القيادة شروطًا، فإذا استجبت لها فسوف تنتهي هذه الأزمة.

السيد الصدر: وما هي الشروط؟

قال مبعوث النظام: الشروط:

١- عدم تأييد الثورة الإسلاميّة في إيران.

٢- إصدار فتوى خطيّة تعلن فيها حرمة الانتماء إلى حزب الدعوة الإسلاميّ.

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ج٩/ ١٤٣، ب١ (باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن).

(٢) المصدر نفسه: ج٤٥/ ٧، أبواب تاريخ الإمام الحسين عليه السلام، ب٣٧/ ح٢٠.

٣- إصدار بيانٍ يشجب الوفود التي جاءت لتأييدكم في رجب.
٤- التخلّي عن فتواكم حول حرمة الانتماء لحزب البعث.
٥- إصدار بيانٍ تؤيد فيه السلطة.

- قال السيد الصدر: وإذا لم أستجب لهذه المطالب؟
- قال المبعوث: الإعدام.
- قال السيد الصدر: تفضّل... أنا الآن مستعدٌ للذهاب معك إلى بغداد لتنفيذ حكم الإعدام... بقي مبعوث النظام مذهولا متحيرًا.
- ثمّ قال: هذا هو الجواب الأخير؟
- قال السيد الصدر: نعم لا جواب آخر عندي.
- قال المبعوث: ألا تفكر بالأمر؟
- قال السيد الصدر: لا فائدة[1].

انتهى اللقاء وفشلت محاولات النظام، وكان السيد الصدر في تلك الأيام يردّد هذا الدعاء: «اللهمّ إني أسالك بحقّ محمدٍ وآل محمدٍ أن ترزقني الشهادة وأنت راضٍ عنّي، اللهمّ إنّك تعلم أني ما فعلت ذلك طلبًا للدنيا، وإنما أردت به رضاك، وخدمة دينك، اللهمّ ألحقني بالنبيّين والأئمّة والصادقين والشهداء وأرحني من عناء الدنيا»[2].

وجرت مع الشهيد الصدر محاولاتٌ أخيرة قبيل إعدامه، بهدف إقناعه بالتراجع عن موقفه، ذكر هذه المحاولات جعفر

---

(١) النعماني: شهيد الأمّة وشاهدها ٢، ص ١٩٩ - ٢٠٢.
(٢) المصدر نفسه ٢، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

الحسيني في مقالٍ له بعنوان (هكذا قتلوا الشهيد الصدر) نشر في صحيفة (كتابات) بتاريخ ١٠ نيسان (ابريل) ٢٠٠٦م.

أورد صاحب هذا المقال الحوار التالي الذي جرى بين سعدون شاكر– وزير الداخليّة آنذاك – والشهيد الصدر (وكان السيد الصدر معتقلا في بغداد).

قال سعدون شاكر للسيد الصدر: أنا جئت من السيد الرئيس وهو ينتظرني الآن، وقرار إعدامك في جيبي، شيءٌ واحد يوقف ذلك، وهو أن تقرأ هذا البيان في التلفزيون (ولوّح سعدون شاكر بورقة يحملها في يده) وتقول بأنّ الثورة الإيرانيّة هي مؤامرةٌ صهيونيّةٌ وإنّها تعادي العروبة والإسلام وتتآمر على العراق، وأنّ حزب الدعوة عميلٌ للاستعمار والصهيونيّة.

فردّ السيد الصدر: **هذا البيان لا ينفعكم لأنّ النّاس لن يصدّقوا به، ولو قرأته فإنّ النّاس سيعرفون بأني قرأته بالإكراه، وفي كلّ الأحوال لن أقرأه مهما كان، ولن ترتاحوا بعد قتلي، ولن تهنئوا أبدًا، قتلي سيضرّكم ولن ينفعكم.**

فقال سعدون شاكر: إذن سننفّذ بك وبأختك الإعدام فورًا.
فردّ السيد الصدر: حسبي الله ونعم الوكيل..

ويستمرّ كاتب المقال جعفر الحسينيّ في روايته والتي ينسبها إلى مدير السجن فيقول: عند ذلك طلب سعدون شاكر، سعدون

صبري الحديثي فجاء ومساعده عادل إبراهيم الأعظمي، واقتادا السيد الصدر وبدون أن يربطوا يديه أو يضعوا عصابةً على عينيه.

كانت هناك سيارة قد وقفت بباب المكتب، أصعدوا إليها السيد الصدر، وكان قد ازداد صلابةً وتماسكًا وتحديًا، ثمّ جاءوا بشقيقته بنت الهدى وهي أيضًا لم تكن مكبّلة اليدين ولا معصوبة العينين.

- فسألته: ما الأمر؟
- فأجابها: لقد قرّروا إعدامنا أنا وأنت الآن، فأخذت بنت الهدى تبكي.
- فقال لها مبتسمًا وبالحرف: يا أخيّه لا تبكي إن موعدنا الجنّة، ألا تريدين أن [تذهبي] إلى الجنّة؟
- قالت بنت الهدى: أنا ابكي عليك.
- فقال لها السيد الصدر: إنّ الموت أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه.

هنا صعد إلى السيارة كلٌّ من سعدون الحديثي وعادل الأعظمي وهما اللذان نفّذا حكم الإعدام بالشهيد الصدر وأخته بنت الهدى، حسب هذه الرواية وانطلقوا.

هذه رواية مدير السجن لما شاهده بنفسه وفق ما جاء في المقال أمّا الجزء التالي فقد رواه المقدّم سعدون الحديثي يقول:

كان السيد الصدر طيلة الطريق يرتّل آياتٍ من القران الكريم، وكانت بنت الهدى ترتّل معه حتى وصلنا بسمايه، أنزلناهما، ربطناهما على عمودين، رفض السيد الصدر أن نغطي عينيه ولكنّنا غطيناهما، كان مستمرًا في قراءة القران وكان في قمّة الصلابة، والتماسك،

وكانت بنت الهدى في مثل تماسكه وقوّته، ثمّ تشهّد وأطلقنا عليهما النّار أنا والرائد عادل.

ويختم الكاتب مقاله بالحديث عن (سعدون الحديثي) منفّذ حكم الإعدام بالشهيد الصدر وفق هذه الرواية فيقول: ليست لدي معلوماتٌ محدّدة عنه الآن، هناك من يقول أنّه مسجون، وهناك من يقول أنّه في اليمن، وهناك من يقول أنّه في البحرين العهدة على كاتب المقال، انتهى ما أردنا الاستشهاد به في هذا المقام.

الشهيد السيد محمد باقر الصدر ﴿قدس سره﴾
بلاءٌ وعناءٌ في الله

ما أجمل العناء في الله ومن أجل الله، كثيرون يعانون أشدّ العناء، ويتعبون أشدّ التعب، ويبذلون ويبذلون ويضحّون ويضحّون، إلا أنّ كلّ ذلك لا قيمة له إلا إذا كان لله تعالى.

فهنيئًا للمؤمنين المخلصين الصادقين الذين يتحمّلون من أجل الله ومن أجل الدين، ويُعطون ويضحّون من أجل التقرّب إلى الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ يَطَأُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ الله أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

فمطلوبٌ من المؤمنين وهم يواجهون العناء والبلاء والتعب والنصب والشدائد أن يُقوّوا إخلاصهم لله سبحانه، وثقتهم به تعالى، فمنه يستمدّون العزم والقوّة والثبات والاستمرار على الخط... وحتى لا يُصابون بالوهن والضعف والتراجع والانهزام.

---

(١) التوبة: الآية ١٢٠ – ١٢١

ونحن نعيش ذكرى استشهاد الفقيه الربانيّ الكبير السيد محمد باقر الصدر رضوان الله تعالى عليه، نطرحه نموذجًا متميّزًا عاش أقسى حالات العناء في الله، وتحمّل البلاء العظيم من أجل دين الله، فما ضعف ولا وهن، بل صبر وثبت محتسبًا ذلك عند الله وبعين الله، وفي سبيل مرضاة الله .

ونطرح بعض الشواهد على ذلك وهي قليلٌ قليل من كثيرٍ كثير.

(١) معاناة الحجز والحصار:

يقول النعماني في كتاب (شهيد الأمّة وشاهدها)[1] وهو يتحدّث عن بداية الحجز والحصار: «ثمّ طوّقت أجهزة الأمن منزل السيد الشهيد من كلّ الجهات ومنعت الناس من المرور من الزقاق الذي يقع فيه، وضيّقوا الخناق على المنطقة كلّها، كما وضعوا جهازًا للمراقبة فوق بنايةٍ مطلّةٍ على منزل السيد الشهيد والمنطقة لتصوير ما قد يحدث، وكانت تعمل ليل نهار... وهكذا بدأ الحجز الذي استمّر تسعة أشهر وانتهى بالشهادة».

«ثمّ قامت السلطة بقطع الماء والكهرباء والهاتف واستمرّ ما يقرب من خمسة عشر يومًا...».

«ورافق ذلك أنّ السلطة منعت الحاج عبّاس خادم السيد الشهيد من دخول المنزل، وهو الذي كان يوفّر ما تحتاجه عائلة

---

(١) النعماني: شهيد الأمّة وشاهدها ج٢، ص١٥٨. (ط١، ١٤٢٢هـ، المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، قم – إيران).

السيد الشهيد من مواد غذائيّة قبل الحجز، وكان الهدف من ذلك هو قتل السيد الشهيد وعائلته جوعًا».

يقول النعماني أنّه نظر إلى السيد الصدر وهو يتغذّى بخبز يابس، فتأثّر كثيرًا وقال في نفسه «سبحان الله إنّ نائب المعصوم يأكلُ من هذا الفتات بينما يأكلُ الطغاة ما لذّ وطاب ... فأحس الشهيد بتأثّره فقال: «**إنّ هذا الطعام ألذّ طعامٍ ذُقتهُ في حياتي، لأنّه في سبيل الله، ومن أجل الله...**».

كان السيد الشهيد ينظر إلى أطفاله وهم جياع، وينظر إلى أمّه المريضة المقعدة تطلب الدواء ولا دواء، ويرى طفلةً له تتلوّى من ألم الأسنان وهو لا يستطيع أن يُوفرّ لها قرصًا مسكنًا، مأساةٌ لا يمكن تصوّرها...

وماذا كان يقول السيد الشهيد؟

كان يقول: «**سيموت هؤلاء جوعًا بسببي ولكن ما دام ذلك يخدم الإسلام فأنا سعيدٌ به، ومستعدٌ لما هو أعظم**».

وكان يقول: «**إنّ ذلك بعين الله تعالى، إنّ الناس سبقونا إلى ما هو أعظم ممّا نحن فيه**».

وكان يهوّن ممّا ألمّ به ذكر الشهيد السعيد السيد قاسم شبّر ﷺ ويقول: «**إنّه يُعاني من التعذيب ما لم نُعانِ نحن بمقدار عشره**».

وكان يتذكّر حصار الرسول ﷺ وجميع بني هاشم في شعب أبي طالب، لا يظلّهم من أشعة الشمس شيء وهم يفقدون الماء والغذاء فيقول: «**كان ذلك من أجل الإسلام فلنكن امتدادًا لهم وعلى خطهم وهدفهم**».

واستمر الشهيد الصدر صامدًا متحمّلا كلّ المعاناة والأتعاب والآلام وهو يقول «**إنّني مستعدّ لأن أبقى مع عائلتي محتجزًا مدى العمر أو أضحّي بنفسي وبهم، إذا كان ذلك يحقّق للإسلام نصرًا في العراق**».

(٢) الشهيد الصدر وخيار الشهادة:

جاء في بعض كلماته:

«**إنّ لديّ رؤية واضحة، إنّ خياري هو الشهادة، فهو آخر ما يمكن أن أخدم به الإسلام**».

كان دائمًا يردّد: «**اللهمّ إني أسألك بحقّ محمدٍ أن ترزقني الشهادة وأنت راضٍ عنّي، اللهمّ إنّك تعلم أني ما فعلت ذلك طلبًا للدنيا، وإنما أردت به رضاك، وخدمة دينك، اللهمّ ألحقني بالنبيّين والأئمّة والصدّيقين والشهداء وأرحني من عناء الدنيا**».

الرؤيا والوصيّة:

في ليلةٍ من لياليه الأخيرة، استيقظ وهو يحمل نشوةً كبيرةً ملأت كلّ مشاعره، حوّلته روحًا هائمًا في آفاق الملكوت الربّانيّة، أنسته

آلام الأرض وهموم الدنيا، كان يُردّد وقد استيقظ من حلمٍ ليس كالأحلام، كان يردّد: أُبشر نفسي بالشهادة إن شاء الله..

يقول النعماني: في فجر أحد تلك الأيام الأخيرة، أيقظني السيد الصدر ثمّ قال لي: «**أُبشّر نفسي بالشهادة إن شاء الله. قلت: خيرًا إن شاء الله**».

فقال: «**رأيت في عالم الرؤيا أنّ خالي المرحوم الشيخ مرتضى آل ياسين وأخي المرحوم السيد إسماعيل الصدر قد جلس كلّ واحدٍ منهم على كرسي وتركوا كرسيًا لي بينهما وهما ينتظران قدومي إليهما ومعهم ملايين البشر ينتظروني أيضًا**» ووصف لي النعيم وما هما فيه من سعادة لا تُتصور.

فقلت: لعلّ هذه الرؤيا تدلّ على الفرج والنصر إن شاء الله.

فقال: **إنّ الشهادة أعظم نصرٍ إن شاء الله**[1].

وفي آخر كلماته التي وجهها إلى أبنائه ومحبّيه: «**وأنا أعلن لكم يا أبنائي أني صمّمت على الشهادة، ولعلّ هذا آخر ما تسمعونه منّي وإنّ أبواب الجنّة قد فُتحت لتستقبل قوافل الشهداء حتى يكتب الله لكم النصر، وما ألذّ الشهادة التي قال عنها رسول الله ﷺ إنّها حسنة لا تضرّ معها سيئة، والشهيد بشهادته يغسل كلّ ذنوبه مهما بلغت**».

---

(١) النعماني: شهيد الأمّة وشاهدها ج٢: ص٢٠٤.

انقطاعٌ كاملٌ إلى الله:

وفي هذه الفترة انقطع إلى ربّه انقطاعًا كاملا، فكان بين تالٍ للقرآن أو مسبحٍ حامد، وكان أكثر ذكره، «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**» وكان صائمًا في الأيام الأخيرة من الحجز، ولم يكن له من همّ إلا العبادة.

مجريات استشهاد السّيد الصدر قدس سره

اتخذ السيد الصدر قراره في التصدّي إلى النظام المستبدّ الحاكم في العراق، وكان يعلم أنّ هذا يكلّفه ثمنًا كبيرًا.

الإجراءات التي اتخذها النظام ضدّ السيد الصدر، يمكن أن نوجزها فيما يلي (حسب ما جاء في كتاب شهيد الأمّة وشاهدها):

- اعتقالات.
- محاولات اغتيال.
- مراقباتٌ أمنيّة.
- الحصار والحجز.

الاعتقالات المتكرّرة:

● **الاعتقال الأول (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م):**

جاء جلاوزة النظام على منزله بهدف اعتقاله، فصادف أنّه كان مريضًا في مستشفى النجف، اتجهوا إلى هناك واخذوا السيد الصدر بعد أن وضعوا في يديه الكريمتين قيود الحديد ومضوا به إلى مستشفى الكوفة وجعلوه في ردهة المعتقلين وبعد فترةٍ وجيزةٍ اضطروا إلى إطلاق سراحه خوفًا من اضطراب الأوضاع.

• **الاعتقال الثاني (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م):**

في أعقاب انتفاضة صفر الخالدة التي حدثت على إثر منع النظام «مواكب المشاة إلى كربلاء» وهي مسيراتٌ سلميّةٌ هادئة... وقد تحدّت الجماهير المنع وخرجت في مسيراتٍ حاشدة (يوم الجمعة ١٧ صفر ١٣٩٧هـ) زاحفة إلى كربلاء صارخة بشعار التحدّي (لو قطعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفًا سيدي يا حسين) وتحوّلت المسيرات إلى انتفاضةٍ جماهيريّةٍ أرعبت النظام.

وقد أكّد السيد الصدر للجماهير على ضرورة استمرار مواكب الإمام الحسين وكان يقول: «**إنّ هذه المواكب شوكةٌ في عيون حكّام الجور، إنّ هذه المواكب وهذه الشعائر هي التي زرعت في قلوب الأجيال حبّ الحسين ﵇ فلا بدّ من بذل كلّ الجهود للإبقاء عليها رغم حاجة بعضها إلى التعديل والتهذيب**».

وفي إثر هذه الانتفاضة أرادت السلطة أن تنتقم من السيد الصدر، وتمّ الانتقام حينما قادوه إلى مديريّة الأمن في بغداد لينال من الحاقدين ألوان التعذيب، ثمّ أفرجوا عنه.

• **الاعتقال الثالث (١٦ رجب ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م):**

في الصباح الباكر من يوم السادس عشر من رجب ١٣٩٩هـ اقتحموا منزل السيد الصدر..

- قال له مدير أمن النجف: إنّ القيادة ترغب بالاجتماع معكم

- السيد: أنا لا أرغب بالاجتماع بهم...
- مدير الأمن: لا بدّ من ذلك.
- السيد: أنا لا اذهب معك إلا إذا كنت تحمل أمرًا باعتقالي.
- مدير الأمن: نعم أحمل أمرًا باعتقالك.

أجابه السيد الشهيد: «أيّ سلطةٍ هذه، وأيّ نظام هذا إنّكم كمّمتم الأفواه، وصادرتم الحرّيات، وخنقتم الشعب بقوة النّار والحديد، تريدون شعبًا ميّتًا يعيش بلا إرادة، تريدون شعبًا بلا كرامة، وحين يعبر شعبنا عن إرادته، وحين يتخذ موقفًا من قضيّة ما، وحين تأتي عشرات الآلاف من أبناء شعبنا لتعبر عن ولائها للإسلام والمرجعيّة تقوم قائمتكم فلا تحترمون شعبًا، ولا دينًا، ولا قيمًا، بل تلجأون إلى القوة لتكمّموا الأفواه وتصادروا الحرّيات، وتسحقوا كرامة الشعب، أين الحرّية التي تدّعونها وجعلتموها شعارًا من شعاراتكم؟ أين هذا الشعب الذي تدّعون أنّكم تدافعون عنه، وتحمون مصالحه؟

أليس هؤلاء الآلاف الذين جاءوا ليعبروا عن ولائهم للمرجعيّة هم أبناء العراق؟

لماذا استولى الرعب والخوف على قلوبكم إن عبرت الجماهير يومًا عن إرادتها ورغبتها»

- ثمّ خاطب مدير الأمن: هيا نذهب حيث تريد...

وخرج السّيد الصدر معهم مصمّمًا على الشهادة..

وهنا وقفت زينب العصر السيد بنت الهدى تخاطب أولئك العدد الكبير من قوات الأمن الذين احتوشوا أخاها: «**انظروا - وأشارت إلى الجلاوزة المدجَّجين بالسلاح والرشّاشات - أخي وحده بلا سلاح، بلا مدافع، بلا رشّاشات...**

أمّا أنتم فبالمئات مع كلّ هذا السلاح هل سألتم أنفسكم لم هذا العدد الكبير ولم كلّ هذه الأسلحة؟

أنا أجيب، والله لأنّكم تخافون، ولأنّ الرعب يسيطر على قلوبكم، واستمرت في كلامها...

ثمّ وجهت خطابها إلى أخيها السيد الصدر: اذهب يا أخي، فالله حافظك وناصرك فهذا طريق أجدادك الطاهرين....

- أخذوا السّيد الصدر إلى بغداد...
- بقيت السيدة في البيت تفكّر فيما يجب أن تفعل.
- انتظرت شروق الشمس فخرجت إلى حرم جدها أمير المؤمنين عليه السلام ونادت بأعلى صوتها: «الظليمة الظليمة.... يا جدّاه يا أمير المؤمنين لقد اعتقلوا ولدك السيد الصدر، يا جداه إني أشكوا إلى الله وإليك ما يجري علينا من ظلم واضطهاد...».
- ثمّ خاطبت من كان في الحرم الشريف: «أيّها الشرفاء المؤمنون، هل تسكتون وإمامكم يُسجن ويُعذّب؟ ماذا ستقولون غدًا لجدّي أمير المؤمنين إن سألكم عن سكوتكم وتخاذلكم؟».
- حدثت ردود فعلٍ جماهيريّة وخرجت مظاهرةٌ حاشدةٌ في النجف

الأشرف، وحدثت مواجهاتٌ مع قوات الأمن، واعتُقل أعدادٌ كبيرة.

- وصل الخبر إلى وكالات الأنباء.
- وحدثت ردود فعلٍ في مناطق متعدّدة من العراق.
- وهكذا كانت انتفاضة رجب التي أرعبت السلطة فاضطرت إلى إطلاق سراح السيد الصدر.

وقائع التحقيق:

جرى مع الشهيد الصدر في هذا الاعتقال تحقيقٌ مطولٌ نختار منه هذا المقطع:

- فاضل البرّاك (مدير الأمن العام): ما هي علاقتكم بالسيد الخميني؟
- السيد: علاقة العالم بالعالم.
- البرّاك: الخميني سياسيّ وليس بعالم.
- السيد: أنا لا زلت أعتقد أنّه عالم دين ومرجعٌ من مراجع المسلمين.
- البرّاك: الخميني زعيم دولةٍ ونحن نعتبر أيّ علاقةٍ به خارج القنوات الدبلوماسيّة للدولة العراقيّة نوعًا من العمالة..
- السيد: فسروا ذلك بما شئتم أمّا أنا فسيبقى السيد الخميني في نظري مرجعًا من مراجع المسلمين.
- البرّاك: لماذا أصدرت بياناتٍ تؤيّد فيها الثورة الإسلاميّة في إيران؟
- السيد: واجبي الشرعيّ فرض عليّ ذلك وليس فيها ما يضرّكم.

- البرّاك: هذا شأن الدولة لا شأن المواطنين.
- السيد: ما صدر منّي لا يخالف سياسة الدولة.
- البرّاك: إنّنا نعتبر ذلك تجاوزًا للسلطة والقانون.
- السيد: أنا عملت بتكليفي الشرعيّ والأخلاقيّ وليس وراء ذلك أهدافٌ أو أغراضٌ سياسيّة ... الخ.

• الاعتقال الرابع والأخير:

فرضوا حصارًا شديدًا على منزل السيد الصدر دام تسعة أشهر، وقاموا بمفاوضاتٍ حاولوا من خلالها المساومات مع السيد إلا أنّها فشلت...

من هذه المفاوضات:

جاء مبعوث النظام وقال له: لأجل حلّ المشكلة وضعت القيادة شروطًا فإذا استجبتم لها فسوف تنتهي هذه الأزمة..

- السيد: وما هي الشروط؟
- المبعوث:

١- عدم تأييد الثورة الإسلاميّة في إيران.

٢- إصدار فتوىً خطيّة تعلن فيها حرمة الانتماء لحزب الدعوة.

٣- إصدار بيانٍ يشجب الوفود التي جاءت لتأييدكم في رجب.

٤- التخلّي عن فتواكم حول حرمة الانتماء لحزب البعث.

٥- إصدار بيانٍ تؤيّد فيه السلطة.

- السيد الصدر: وإذا لم استجب لهذه المطالب؟
- المبعوث: الإعدام.
- السيد الصدر: تفضّل... أنا الآن مستعدٌ للذهاب معك إلى بغداد لتنفيذ حكم الإعدام.

بقى المبعوث مذهولا متحيراً.

- ثمّ قال: هل هذا هو الجواب الأخير؟
- السيد الصدر: نعم لا جواب آخر عندي.
- المبعوث: ألا تفكّر بالأمر.
- السيد الصدر: لا فائدة.

وانتهى اللقاء(١).

محطة الشهادة

ولنا وقفةٌ مع محطّة الشهادة في حياة السيد الصدر وفي حياة السيدة بنت الهدى.

فكلّما اقترب السيد الشهيد الصدر من لحظة الشهادة زاد انقطاعًا إلى الله، وزاد انصهارًا وذوبانًا في العبادة، كان بين تالٍ للقرآن، وذاكرٍ لله تعالى، وقائم وصائم، وأعلن كلمته الأخيرة «**أنا أعلن لكم يا أبنائي أنّي صمّمتَ على الشهادة، ولعلّ هذا آخر ما تسمعونه منّي، وإنّ أبواب الجنّة قد فتحت لتستقبل قوافل الشهداء حتى يكتب الله لكم النصر، وما ألذّ الشهادة التي قال عنها رسول الله ﷺ:**

---

(١) النعماني: شهيد الأمّة وشاهدها ج٢: ص٢٠١.

إنّها حسنةٌ لا تضرّ معها سيئة، والشهيد بشهادته يغسل كلّ ذنوبه مهما بلغت»[١].

وقد صمّم الطاغية المجرم صدّام على إعدام السيد الصدر، وطلب من أزلامه أن يروّجوا إشاعة بين النّاس مفادها أنّ السلطة عازمةٌ على تنفيذ حكم الإعدام بالسيد الصدر، وكان الهدف اكتشاف ردود الفعل الجماهيريّة...

وقد رُوي أنّ الحاج عباس خادم السيد الصدر جاء بعد ظهر يوم من تلك الأيام مضطّربًا خائفًا وهو يبكي فأخبر السيد الصدر بأنّ إشاعةً قويّةً انتشرت بين الناس مؤدّاها أنّ السلطة ستنفذ حكم الإعدام بالسيد الصدر في المستقبل القريب، فقال له السيد الصدر: **«لقد بشّرتني بشّرك الله بكلّ خير»**[٢].

وقائع الشهادة:

في يوم السبت (٥ / ٤ / ١٩٨٠م) الساعة الثانية والنصف بعد الظهر جاء جلاوزة النظام إلى منزل السيد الصدر قائلين: إنّ المسؤولين يودّون لقاءك في بغداد...

- السيد الصدر: إذا أمروكم باعتقالي، نعم أذهب معكم.
- الجلاوزة: نعم هو اعتقال.
- السيد الصدر: انتظروني حتى أغتسل وأبدل ملابسي وأودّع أهلي.

(١) المصدر نفسه: ج٢، ص٢٠٩.
(٢) المصدر نفسه: ج٢، ص٢٠٦.

دخل السيد الصدر ﷺ فاغتسل بنيّة غسل الشهادة، وصلّى لربه ركعتين..

ثمّ اتجه إلى والدته المذهولة والمكروبة وأخذ يدها وضمها إلى صدره بين يديه، ثمّ رفعها إلى فيه يلثمها في حنو، وطلب منها الرّضا والدعاء.

ثمّ احتضن أطفاله يضمّهم ويقبّلهم في لحظاتٍ مملوءةٍ بالدموع والآهات، وصرفت واحدةٌ من بناته وجهها إلى الجدار جاهشةً بالبكاء، ضمّها بين ذراعية: «ابنتي، كلّ إنسانٍ يموت... والموت في سبيل الله أفضل وأشرف، إنّ أصحاب عيسى نُشروا بالمناشير وعُلّقوا بالمسامير على صلبان الخشب، وثبتوا من أجل موتٍ في طاعة، لا تكترثي يا صغيرتي، فكلّنا سنموت، اليوم أو غدًا، وإنّ أكرم الموت القتل. بنيّتي! أنا راضٍ بما يجري عليَّ...».

وحان الوقت لوداع زوجته، اقترب منها وقال: «يا أخت موسى، بالأمس أخوك، واليوم النديم والشريك والحبيب، اليوم أنا، لكِ الله يا جنتي ويا فردوسي، تصبري، إنما هي البيعة مع الله، قد بعناه ما ليس بمرجوع، وهو قد اشترى سبحانه، يا غريبة الأهل والوطن، حملك ثقيل ولك العيال، أسألك الحلّ، فأولئك هم سود الأكباد على بابك ينتظرون، وما من مفرّ، أنا ذاهبٌ، وعند مليكٍ مقتدرٍ لنا لقاء».

ثمّ توجّه للخروج، فكانت أخته بنت الهدى بانتظاره تحمل القرآن الكريم، فمرّ من تحته ثمّ قبّله بهدوء وخرج[1]...

لم تُحدّثنا المصادر أنّه جرى بينه وبين شقيقته وداع في تلك اللحظات.. لأنّه على موعدٍ معها في يوم الشهادة...

أخذوا الشهتيد السيّد الصدر إلى بغداد وهو يحمل عنفوان وشموخ جده الحسين عليه السلام...

وفي صباح اليوم الثاني طوّقوا المنزل من جديد...

- قالت السيّدة بنت الهدى: لقد جاءوا لاعتقالي فاستعدّت وتهيّأت وهي تحمل عشق الشهادة..
- قال الجلاوزة: علويّة إنّ السيّد طلب حضورك إلى بغداد.
- فقالت: «نعم، سمعًا وطاعة لأخي إن كان قد طلبني ولا تظن أني خائفة من الإعدام، والله إني سعيدةٌ بذلك، إنّ هذا طريق أبائي وأجدادي..».
- ثمّ قالت مخاطبة ضابط الأمن: دعني قليلا وسوف أعود إليك، ولا تخف فأنا لن أهرب – وأغلقت الباب في وجهه....

يتحدّث النعماني فيقول:

ثمّ جاءتني وقالت لي: «أخي أبا علي لقد أدّى أخي ما عليه، وأنا ذاهبةٌ لكي أؤدّي ما عليّ إنّ عاقبتنا على خير... أوصيك بأمّي

(١) أبو زيد العاملي: محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق ج٤، ص٢٧٠-٢٧١. (ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت – لبنان).

وأولاد أخي، لم يبق لهم أحدٌ غيرك، إنّ جزاءك على أمّي فاطمة الزهراء عليها السلام».

- قلت لها: لا تذهبي معهم..
- فقالت: «لا والله حتى أشارك أخي في كلّ شيء حتى الشهادة».

ومضت لتنال الشهادة مع أخيها الشهيد السيد الصدر[١].

الروايات حول كيفيّة إعدام الشهيد الصدر:

تعدّدت الروايات حول الطريقة التي تمّ بها تصفية السيد الصدر.

جاء في كتاب (محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، الجزء الرابع)[٢] لأحمد عبد الله أبو زيد العاملي الإشارة إلى أهمّ الروايات:

الرواية الأولى (رواية الشيخ محمد رضا النعماني):

تقول هذه الرواية: «أحضروا السيد الصدر إلى مديريّة الأمن العامّة، فقاموا بتقييده بالحديد، ثمّ جاء المجرم صدّام وأخذ يهشّم رأس السيد الصدر ووجهه بسوطٍ بلاستيكي صلب وكان يقول له عبارات نابية ثمّ أمر جلاوزته بتعذيب السيد الصدر تعذيبًا قاسيًا.

ثمّ أمر بجلب الشهيدة بنت الهدى- ويبدو أنّها قد عُذِّبت في

---

(١) المصدر نفسه: ج٤، ص٢٧٣.

(٢) المصدر نفسه: ج٤: ص٢٧٩.

غرفةٍ أخرى -جاءوا بها فاقدة الوعي يجرّونها جرًّا، فلما رآها السيد الشهيد استشاط غضبًا ورقّ لحالها ووضعِها فقال لصدام: إن كنت رجلاً ففكّ قيودي، فأخذ المجرم سوطًا وأخذ يضرب العلويّة الشهيدة، ممّا جعل السيد الصدر في حالة غضبٍ فقال للمجرم صدّام: لو كنت رجلاً فجابهني وجهًا لوجه ودع أختيَ ولكنّك جبانٌ وأنت بين حمايتك.

فغضب المجرم وأخرج مسدسه فأطلق النّار عليه ثمّ على أخته الشهيدة وخرج كالمجنون يسبّ ويشتم...[1].

الرواية الثانية (رواية سنوات الجمر)[2]:

جاء في هذا الكتاب للسيد علي المؤمن الغريفي:

«وأشرف صدام مباشرة على تعذيب الإمام الصدر والتحقيق معه، وكان صدام – وهو في حالة انهيارٍ وإعياء – يكرّر عليه مطالبه السابقة –، فيما يقابله الصدر – الموشّح بالدماء – بثبات المؤمن، وهيبة الفقيه وهو يتلو آياتٍ من الذكر الحكيم، ممّا يدلّ على رفضه القاطع.

وللمرة الأخيرة عاد عليه صدام وهو شاهرٌ مسدسه: أصدِر فتوى بتحريم الانتماء إلى حزب الدعوة، وجواز الانتساب إلى حزب البعث وإلا مزّقت رأسك وقطّعتك أوصالا.

---

(١) الشهيدة بنت الهدى سيرتها ومسيرتها ١٥٣ - ١٥٤.

وهذا يعني لدى الإمام الصدر إمّا الموت أو الإفتاء بحلّية الكفر، ولا شكّ أنّ الجود بالنفس أيسر كثيرًا عليه من أن يحيد قيد أنملة عن مبادئه.

وبعد فشل كلّ محاولات المساومة العقيمة أقدم صدام بنفسه في يوم الثلاثاء ٨ نيسان (أبريل) ١٩٨٠م على تفريغ رصاصات مسدّسه في قلب ورأس الإمام باقر الصدر، فسقط على الأرض مضرّجًا بدمه، ثمّ رشق برزان التكريتي (شقيق صدام) وشخصٌ ثالث اسمه دحّام الطلقات القاتلة على جسده، ويذكر مصدرٌ مطّلع أنّ هذا الشخص الثالث هو الذي طعن الإمام الطعنة القاتلة، ثمّ أوعز صدام إلى نائبه عزّت الدوري بقتل المفكّرة الإسلاميّة بنت الهدى فخرت هي الأخرى صريعة.

الرواية الثالثة:

تقول الصحفيّة المصريّة صافي ناز كاظم التي كانت في العراق في تلك الفترة: «تمّ استدعاء [الإمام الصدر] لمقابلة صدام حسين الذي ساومه بين القتل أو إدانة الثورة الإسلاميّة، حيث لم يتردّد الإمام في اختيار الموت الذي كان قد توضأ استعدادًا له قبل تركه بيته مصاحبًا رجال الأمن.

- وسأله صدام أيّ أسلوبٍ من القتل تريد؟
- فقال الإمام: أذبح كما ذبح الحسين.

ولكنّ صدام أمر بأن يموت رميًا بالرصاص وخلع الإمام الجليل عمامته السوداء مجابهًا رصاص الجلاد المحترف، لكنّ يد الجلاد اهتزّت ولم تستطع إطلاق الرصاص، فتمّ تكليف جلاد ثانٍ لكنّ يده اهتزّت كذلك، ولم يستطع أحدٌ من الجلادين المحترفين أن يطلقوا الرصاص على الإمام الجليل ممّا اضطّر صدام إلى أن ينهرهم ويقوم بنفسه بعمليّة إطلاق الرصاص وقتل الإمام الشهيد.

بعد يومين استُدعيت الآنسة آمنة بنت الهدى شقيقة الإمام الشهيد بحجّة أنّ شقيقها يريدها، حيث تمّ تنفيذ حكم الإعدام عليها بعد إجراءات تنكيل وحشيّة جعلتهم يتردّدون في تسليم جثّتها بعد استشهادها رضي الله عنها[1].

وهكذا مضى السيد الصدر شهيدًا، بعد أن تحمّل من العناء والبلاء والعذاب ما تحمّل...

يقول سماحة آية الله السيد كاظم الحائري:

«أمّا عن ألوان العذاب التي مورست بشأن أستاذنا الشهيد رحمه الله وأخته الفاضلة... لو صدق عشرٌ من أعشار ما نقلوه فهو ممّا لا أظنّه واقعًا طول تاريخ العالم، وحقًا يثقل على النفس البشريّة سماع جزءٍ يسيرٍ منه، فما ظنّك بالقدرة على تحمّله...»[2].

---

(١) يوميات بغداد ١٩٨٠م: ٧-٨.

(٢) الحائري: مباحث الأصول، الجزء الأول من القسم الثاني، ص١٦٥. (ط١، ١٤٠٧هـ، مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران).

الشهيد السيد الصدر يوارى الثرى سرًا:

كما تحدّثت المصادر[1]: أنّه في مساء يوم الأربعاء ٩/٤/١٩٨٠م الساعة العاشرة مساءً قطعت السلطة التيار الكهربائي عن مدينة النجف الأشرف، وفي ظلام الليل الدامس تسلّلت مجموعةٌ من قوات الأمن إلى دار السيد محمد صادق الصدر [ابن عمّ السيد الصدر] وطلبوا منه الحضور معهم إلى نيابة محافظة النجف، وأخذوه معصوب العينين إلى مقرّ الأمن القديم...

وكانت المفاجأة المروّعة، والحدث المذهل وجد السيد محمد صادق الصدر أمامه جنازة السيد الصدر...

- قالوا له: هذه جنازة الصدر قد تمّ إعدامه... وسلّطوا الضوء على وجه السيد الصدر وسألوا السيد محمد صادق: هل هذا هو؟ متأكّد منه، حتى لا تقولوا أنّه ليس هو..
- فاسترجع السيد محمد صادق قائلا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون
- ثمّ قال لهم: لا بدّ من تغسيله..
- قالوا: قد تمّ تغسيله وتكفينه.
- قال لهم: لا بدّ من الصّلاة عليه.
- قالوا له: صلٍّ عليه.

---

(١) أبو زيد العاملي: محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، ج٤: ص٢٨٣. (ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت – لبنان).

وبعد أن انتهى من الصلاة، كشفوا له عن جثمان السّيد الشهيد، فشاهده مضرّجًا بدمائه، وآثار التعذيب على كلّ مكانٍ من وجهه، وقد أُحرقت لحيته، وهشّمت رصاصةٌ مقدّمةَ جمجمته فوق إحدى عينيه.

وماذا عن الشهيدة بنت الهدى؟

الله أعلم كم نالت من عذابات، وكم لعبت في جسدها وسائل التعذيب، وكم مزّقت صدرها وقلبها وجبهتها رصاصات الغدر والإجرام وظلّ أمرها لا يعلمه إلا الله وأولئك الجناة وظلّ قبرها مخفيًا...

وقد تعدّدت الروايات حول جثمانها الطاهر..[1]

- فقيل إنّ جثمانها سلّم مع جثمان أخيها السيد الصدر.
- وقيل إنّ جثمانها لم يأت به إلى النجف ولم يدفن مع جثمان أخيها ولا يعلم مصيره...
- وقيل أنّها دفنت في مقابر الكرخ في بغداد..
- وقيل إنّ جثمان الشهيدة بنت الهدى قد أذيب بالمواد الكيماويّة...

وهكذا أبت بنت الهدى إلا أن تشارك جدّتها الصدّيقة فاطمة الزّهراء في خفاء قبرها، وكيف لا وهي فاطمة هذا العصر..

---

(١) محمد باقر الصدر السيرة والمسير في حقائق ووثائق ٤: ٢٨٥ - ٢٨٦م.

موارة الجثمان الطاهر:

أُخذ الجثمان الطاهر وبصحبة السيد محمد صادق الصدر، ودُفن في مقبرة وادي السلام، ثمّ قالوا للسيد محمد صادق الصدر: لك أن تخبر عن إعدام السيّد الصدر، ولكن إيّاك أن تخبر عن إعدام بنت الهدى، إنّ جزاءك سيكون الإعدام.

كم كان هذا قاسيًا على قلب هذا السيّد الجليل، وهو يشاهد هذه المأساة، وهو يشاهد الشهيد الصدر جسدًا هامدًا عبثت به أيدي الجريمة وغيرت ملامحه جراحات التعذيب، وصبغت لحيته الشريفة دماء الشهادة.

كم كان قاسيًا على قلب هذا السيّد الجليل أن تقع عينه على الشهيدة بنت الهدى جسدًا هامدًا عبثت به أيدي الجريمة، وغيرت ملامحها جراحات التعذيب وصبغتها دماء الشهادة...

والأشدّ قسوةً على قلبه أنّه لا يملك القدرة أن يتحدّث عن إعدام الشهيدة بنت الهدى، ولذلك بقي خبر استشهادها مخفيًا...

وشاعت أخبار - في وقتها - تشكّك في إعدام السيّدة بنت الهدى، إلا أنّ السيّد محمد صادق الصدر لما حانت منه الوفاة أخبر عن شهادة السيّدة بنت الهدى رضوان الله عليها.

وهكذا أعطى الشهيد الصدر دمه في مواجهة نظام الظلم والقهر والاستبداد ومن أجل أن ينتصر شعب العراق المظلوم وهكذا أعطت الشهيدة بنت الهدى دمها في هذا الطريق...

كان ذلك في الأسبوع الثاني من نيسان «أبريل» عام ١٩٨٠م، وفي الأسبوع الثاني من نيسان «إبريل» عام ٢٠٠٣ ميلاديّة سقط نظام الطاغية صدَّام في بغداد...

فهل يعتبر الطغاة المجرمون؟

وهل يعتبر سفّاكو الدماء؟

وهل يعتبر العابثون بمقدّرات الشعوب؟

وهل يعتبر طواغيت الأرض؟

وإذا كان دم الشهيد الصدر ودم الشهيدة بنت الهدى عنوان الجهاد والصمود والرفض طيلة حكم الطاغية صدام، فسوف يبقى دم الشهيد الصّدر ودم الشهيدة بنت الهدى عنوان الجهاد والصمود والرفض في هذه المرحلة الجديدة من تاريخ العراق، هذه المرحلة التي تحاول أمريكا أن ترسم كلّ معالمها، وكلّ مكوّناتها الثقافيّة والأخلاقيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والأمنيّة والعسكريّة..

سيبقى دم الشهيد الصدر ودم الشهيدة بنت الهدى يستنهض إرادة الأمّة لتواجه مشروعات الهيمنة والمصادرة والإلغاء..

فإذا كان الشعب العراقي وفيًا لهذا الدم الطاهر، فيجب أن تتوحّد إرادته من أجل إنهاء الاحتلال الأمريكي البريطاني الكافر، ويجب أن تتوحّد إرادته من أجل صياغة حاضر العراق ومستقبل العراق بعيدًا عن كلّ الشعارات الزائفة التي تحاول أن تصادر هوية هذا البلد وأصالته وتاريخه...

وإذا كانت الأمّة في كلّ مكانٍ وفيةً لدم الشهيد الصدر ولدم الشهيدة بنت الهدى، فيجب أن تؤكّد ولاءها وانتماءها إلى خط الإيمان والأصالة لتواجه مشروعات العبث بثقافة الأمّة، وبأخلاق الأمّة، وبقيم الأمّة، وبعبارةٍ أكثر وضوحًا العبث بدين الأمّة، وبإسلام الأمّة...

فإذا كنّا الأوفياء لشهيدنا الصدر، فمسؤوليتنا أنْ نُبقي الشهيد حاضرًا في ذاكرتنا، وأن نُبقي الصدر حاضرًا في عواطفنا، وأن نُبقي الشهيد الصدر حاضرًا في سلوكنا، وأن نُبقي الشهيد الصدر حاضرًا في كلّ واقعنا الثقافيّ والروحيّ والأخلاقيّ والاجتماعيّ والسياسيّ...

لقد نال وسام الشهادة، وما أعظمه من وسام لا يناله إلا الذين عاشوا العشق مع الله سبحانه، فأعطوا الدّم تعبيرًا صادقًا عن هذا العشق، ليس كلّ دم هو دم شهادة، الدّم حينما يكون من أجل الله تعالى، من أجل دين الله، من أجل قيم الله، من أجل عشق الله فهو الدّم الذي يحمل وسام الشهادة.

كان الشهيد الصدر يردّد دائمًا وخاصةً في أيامه الأخيرة هذا الدعاء: «**اللهمّ إني أسألك بحقّ محمدٍ وآل محمد أن ترزقني الشهادة وأنت راضٍ عنّي، اللهمّ إنّك تعلم أني ما فعلت ذلك طلبًا للدنيا، وإنما أردت به رضاك، وخدمة دينك، اللهمّ ألحقني بالنبيين والأئمّة والصدّيقين والشهداء وأرحني من عناء الدنيا**».

رحمك الله يا أبا جعفر، كم عانيت وعانيت وتحمّلت أقسى المحن والشدائد والابتلاءات، وأنت تعيش في ظلّ نظامٍ جسّد أسوء ألوان الظلم والقهر والعبث بالحقوق والكرامات، كم عانيت وعانيت وتحمّلت وتحمّلت وصبرت محتسبًا، متوكلا على الله، واثقًا بلطف الله مشدودًا إلى لقاء الله.

هكذا كنت تلهج بالشهادة، ليس فرارًا من مسؤوليات العمل والتصدّي والمواجهة، وإنما لأنّك ترى في الشهادة، وفي دم الشهادة ما يعطي للأمّة روح المواجهة والتصدّي لتتحرّر من ذلّ عبودية الأنظمة الجائزة الظالمة، أردت أن يكون دمك - كما كان دم جدك الحسين عليه السلام - يُعطي للأمّة معنى الكرامة والإباء والعزّة، ويصنع منها روح الشمم والكبرياء والشموخ، ويضعها أمام فجر النصر والفتح والانطلاق.

نعم كنت تعشق الشهادة، وكنت ترى في الشهادة أعظم نصر.. وقد أعلن آخر كلمة له: «**أنا أعلن لكم يا أبنائي أني صمّمت على الشهادة، ولعلّ هذا آخر ما تسمعونه منّي، وأنّ أبواب الجنّة**

قد فتحت لتستقبل قوافل الشهداء حتى يكتب الله لكم النصر، وما ألذّ الشهادة التي قال عنها رسول الله ﷺ، أنّها حسنة لا تضرّ معها سيئة، والشهيد بشهادته يغسل كلّ ذنوبه مهما بلغت».

قصة نقل الجثمان الطاهر:

هذه القصة وردت في عدّة مصادر منها:

١- وجع الصدر: وهو عبارة مجموعة خواطر وأحاديث للسيدة أم جعفر زوجة الشهيد الصدر وقد دوّنتها إحدى الكاتبات المؤمنات (أمل البقشي)[1]، هذا الكتاب حريّ بالقراءة والمطالعة ففيه من المعلومات عن حياة الصدر رضوان عليه ما لا يوجد في غيره من المصادر، كونه يدوّن مذكرات إنسانة عاشت حياة السيد الصدر في داخل البيت بكلّ تفاصيلها وخصوصيّاتها، وتروي السيدة أم جعفر كيف تمّ زواجها من السيد الصدر، وقد شاركته كلّ الآم المحنة...

٢- محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق: لأحمد عبد الله أبو زيد العاملي وهو عبارة عن موسوعة كبيرة وثائقيّة تعرض لسيرة الشهيد الصدر من الولادة حتى الشهادة..

تتألف هذه الموسوعة من خمس مجلدات غنيّة بالمعلومات والحقائق، وقد ضمّت هذه الموسوعة مجموعة كبيرة من الصور النادرة للشهيد الصدر كما ضمّت (٥٧٤ وثيقة مصوّرة وفيها كلّ رسائل الشهيدة الصدر المكتوبة بخطه).

---

(١) أمل البقشي: وجع الصدر، ص٢٧٣. (ط١، ١٤٢٧هـ، الناشر: اجتهاد، قم – إيران).

وكذلك مجموعة وثائق خاصّة بالشهيدة بنت الهدى فجدير بالمؤمنين أن يطّلعوا على هذه الموسوعة الوثائقية الكبيرة...

هذا الكتاب تحدّث عن تفاصيل نقل الجثمان الطاهر، معتمدًا على مجموعة مصادر(١).

ونحاول هنا أن نوجز ذلك استنادًا إلى هذين الكتابين..

من هو راوي قصة اكتشاف القبر؟

إنّه السّيد كامل العميدي، كان محبًّا للسيد الصدر، وله معه علاقة منذ سنة ١٩٧٠م أيّ قبل استشهاد السيد الصدر بعشر سنوات...

كما أنّ السّيد كامل العميدي معروفٌ لدى أغلب المراجع في النجف الأشرف، وكان يحضر مجالسهم...

ولما استشهد السيد الصدر ودفن سرًا، جالت في داخله رغبةٌ جامحةٌ في أن يكتشف قبر الشهيد الصدر والذي أصبح مخفيًا...

انضم إلى مجموعة الدفّانين الذين يمارسون الدفن في مقبرة السلام، بهدف التعرّف على الدفّان الرسمي التي تعمده السلطة لدفن الجثامين المحوّلة من قبلها...

---

(١) أبو زيد العاملي: محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، ج٤: ص٣٣٥. (ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت – لبنان).

وفعلا تعرف عليه وهو الدفّان عباس خضير وقد أخذ عليه الأمن تعهدًا مكتوبًا بأن لا يفشي لأحدٍ هذا الأمر، وإن تسرّب ذلك فإنّ مصيره الإعدام، وكان يُستدعى كلّ ستّة أشهر للتوقيع مجدّدًا على هذا التعهّد...

وهكذا كوّن السيد العميدي علاقة قويّة مع هذا الدفّان حتى وثق به كلّ الوثوق واطمأن إليه كلّ الاطمئنان فأطلعه على موضع القبر...

كما أطلع هذا الدفّان شخصين آخرين خشية أن يحدث له حادث ويضيع قبر السيد الصدر...

وبعد الانتفاضة الشعبانيّة (١٤١١هـ -١٩٩١م) فكّر السيد العميدي بأن يقوم بعمليّة نقل الجثمان إلى موقعٍ آخر حمايةً له من عبث النظام، وكان الفرصة مؤاتية حيث قامت السلطة بشقّ شوارع في مقبرة السلام وسمحت للناس أن ينقلوا جثامين موتاهم إلى مواقع أخرى.

قصد السيد العميدي إلى السيدة أم جعفر وطرح عليها فكرة نقل الجثمان فوافقت على إخراجه، ثمّ استجاز من أحد الفقهاء فأجازه.

وتمّ تعيين يوم ٧ صفر ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) موعدًا لنقل الجثمان [بعد أربعة عشر سنة من استشهاد السيد الصدر].

تمّت العمليّة بكلّ إتقانٍ وسريّة، حفر القبر، ودخل السيد كامل إلى داخل القبر إلا أنّه ما لبث أن خرج لهول ما أصابه حيث سمع – والعهدة عليه في نقل هذا الكلام – ما يشبه الدّوي والنواح، وبعد أن هدأ روعه عاد مرة ثانية ومعه آخر، وأخرجا الجثمان، فتح الكفن والذي لا زال لم يتغير نسيجه وإن تغير لونه بسبب انطماره داخل التراب، ويا لهول ما رأوا، فالجسد لا زال طريًا وكأنّه دفن قبل سويعة، وكانت اللحية الشريفة قد أحرقت، وأثر رصاصةٍ لئيمةٍ اخترقت جبهته الكريمة فوق إحدى العينين، وثلاث طعناتٍ في الصدر.

نزع القطن الذي على الجبهة فإذا بدمٍ عبيطٍ يتقاطر... ربما يصعب على البعض أن يستوعب هذه الحقائق إلا أنّ الروايات الثابتة والشواهد التاريخيّة قد أكّدت أنّ أجساد الأولياء والشهداء والصالحين تبقى طريّة بعد الموت لا تتغير، بل ورد أنّ بعض الأعمال لها هذا الأثر، فمن داوم على غسل الجمعة لا يبلى جسده بعد الموت.

وقد حدّثنا التاريخ عن بعض شهداء الإسلام في عصر الرسالة، قد تمّ نقل أجسادهم بعد سنين طويلة فكانت طريّة لم تتغير...

وقصة الحر الرياحي من الشواهد التاريخيّة الثابتة، حتى أنّ العصابة التي عصّبه بها الإمام الحسين لم تتغير...

فهل نستكثر على عالمٍ ربّانيّ وفقيهٍ ومجاهدٍ وشهيدٍ كالسيد محمد باقر الصدر أن تكونَ له هذه الكرامة الإلهيّة، وحتى لو لم يُكتشف قبره ما كنّا نتردّد لحظةً في أنّه كذلك...

وهكذا تمّ نقل الجثمان الطاهر إلى موقع آخر آمن من عبث النظام الجائر وكان هذا هو النقل الأول بعد أَربعة عشر سنة من استشهاد السيد الصدر...

وحدث نقلٌ ثانٍ بواسطة السيد العميدي نفسه وذلك بتاريخ ٧ / ٤ / ١٩٩٧م نظرًا لشيوع موضع القبر لدى كثيرين.

واستمر إخفاء القبر حتى يوم ٩ / ٤ / ٢٠٠٣م يوم سقوط النظام الصدّامي الكافر.

فأوعزت العلويّة أم جعفر زوجة السّيد الشهيد وأعطت مبلغًا من المال إلى السيد كامل العميدي لغرض بناء القبر وإظهاره للناس وتمّ النقل الأخير في شهر رمضان ١٤٢٧هـ إلى مدخل النجف من جهة كربلاء، حيث الموقع الحالي ومن المقرر أن يشاد عليه صرحٌ علميّ ثقافي ضخم، إلا أنّ ذلك لم يتحقّق حتى الآن.

وهكذا بقي الشهيد الصدر رمزًا شامخًا يتحدّى الطغيان، وبقي دمه وقودًا لكلّ الأحرار والثوّار.

الشواهد التي تؤكّد كون الجثمان للشهيد الصدر:

١- بقاؤه طريًا لم يتغير وهذا من علامات الأولياء الشهداء والسيد الصدر واحدٌ منهم.

٢- آثار التعذيب، ومواقع الرصاص، وهي كما حدثت للسيد الصدر وفق الروايات المؤكّدة.

٣- في المرة الأولى التي تمّ فيها إخراج الجثمان احتفظ السيد العميدي معه بشيءٍ من القطن الذي صبغته دماء الشهيد الصدر، وبعد سقوط النظام قام الدكتور مجاهد الهاشمي بأخذ عيّنة من هذا الدم، وعيّنة من إحدى بنات السيد الصدر، وأرسلهما إلى لندن لمطابقتهما، وقد أتت الإجابة المبدئيّة بالتطابق إلى حين الإعلان عن ذلك في تقرير طبّي رسمي (هذا ما ذكره صاحب موسوعة محمد باقر الصدر) في وقت صدور الموسوعة.

٤-خاتم الشهيد السيد الصدر، في المرة الثانية للنقل وجد السيد العميدي في يد الشهيد الصدر اليمنى خاتمًا من العقيق اليماني الأحمر وهو الذي كان يختم به أجوبة الاستفتاءات أو مراسلاته ومكاتباته غالبًا وكان الخاتم في إصبع يده اليمنى، وقد اصطبغ بالدم وعلق به التراب، فأخرجه السيد العميدي واحتفظ به، هذا الخاتم قد نقش فيه خمس ورداتٍ وقيل ستّ وردات واسم (محمد)، وقد سأل العميدي السيد حسين السيد إسماعيل الصدر عن خاتم عمّه فوصفه له بأنّه خاتم فضة وفصه عقيق يماني فيه ستّ نجمات واسم (محمد) في الوسط فعرضه عليه فأكّد بأنّه هو.. كما قصد السيدة أم جعفر الصدر وأطلعها على نقل الجثمان وقضيّة الخاتم، فقالت له: قبل أن تريني إيّاه سأعطيك علائمه وهو خاتم من عقيق يماني فيه ستّ نجمات واسم (محمد) في الوسط فقال: هذا هو، وقد أعطته إيّاه تقديرًا لجهوده...

وفي جوابٍ لسؤالٍ طرحه مؤلف الموسوعة على السيدة أمّ جعفر قالت: «الدفّان الذي نقل الجثمان ثقة، وقضيّة الخاتم صحيحة، لقد أجزنا له أن يبقى المحبس عنده تكريمًا لجهوده».

ويقول مؤلف الموسوعة: وقد أرانيه السيد العميدي فعاينته بنفسي وتفحصته وشاهدت آثار تآكل فضته

٥- الذي نقل الجثمان السيد العميدي من الثقات المعروفين، وقد أكّد هو والذين شاركوا معه أنّ الجثمان للشهيد الصدر رضوان الله عليه.



سيبقى الشهيد الصدر ﵀ في ذاكرة الأجيال

لا يجوز أن يغيب عن ذاكرة الأجيال هذا الإنسان العظيم الذي أعطى كلّ حياته، وكلّ وجوده وأعطى كلّ قطرة من دمه من أجل الإسلام، ومن أجل أن تبقى لهذه الأمّة أصالتها، ودينها، وقيمها، وأن يبقى لهذه الأمّة عنفوانها وشموخها وصمودها وإرادتها.

تتزامن ذكرى الشهيد الصدر هذه السنة مع أحداثٍ داميةٍ في العراق، عراق الشهيد الصدر، تمرّ الذكرى والقوى الصليبيّة الحاقدة تدمّر العراق وشعب العراق، أمريكا بغطرستها وجنونها تقتل أطفال العراق، ونساء العراق وشباب العراق، وأبناء العراق، الطائرات والدبابات والمدرعات والصواريخ والقذائف تحرق وتدمّر وتقصف وتزرع الرعب والخوف، والعالم كلّه آذانٌ صمّاء، الدول، الهيئات الدولية، منظمة الأمم، مجالس الأمن، الأنظمة العربيّة والإسلاميّة، الأحزاب، المؤسّسات، صمتٌ كاملٌ أمام الغطرسة الأمريكيّة، صمتٌ كاملٌ ودماء الشعوب تنزف في العراق، هل حقًا أنّ أمريكا جاءت إلى العراق من أجل أن تنقذ شعب العراق، وأن تحرر إرادة الشعب العراقي، وأن تؤسّس لديمقراطيّةٍ عصريّةٍ في العراق، هذه أوهامٌ زائفة،

ودعاوى كاذبة، ما يحدث في العراق في ظلّ الهيمنة الأمريكيّة شيءٌ آخر، مصادرةٌ للحريات، عبثٌ لكلّ الأوضاع، إرهابٌ وعنفٌ ودماء.

الفوضى المجنونة في كلّ مكان، لا صرامة مع العابثين والمخرّبين والمفسدين، لقد دمرّ طاغية العراق صدّام كلّ شيءٍ في العراق، وجاءت أمريكا لتواصل مشوار الدمار جاءت أمريكا لتفرض مشروعها في الهيمنة والسيطرة، هذا هو هدف المشروع الأمريكي في كلّ المنطقة وليس في العراق فقط، نعم تمرّ ذكرى الشهيد الصدر والعراق يئنّ من جراحاته النازفة، وشعب العراق يعيش امتحانًا قاسيًا صعبًا، نسأل الله تعالى بحقّ دم الشهيد الصدر، وبحقّ دم العلويّة الطاهرة بنت الهدى، وبحقّ كلّ الدّماء المسفوكة ظلمًا على أرض العراق، أن يُخلِّص هذا الشعب، وأن يُنقذ هذا الشعب، وأن يحمي مقدّرات العراق، ومقدّسات العراق، وحاضر العراق ومستقبل العراق.

وما أحوج شعبنا في العراق إلى مزيدٍ من التلاحم ونبذ الخلافات والصراعات، وإلى التمسّك بقيم الإسلام وأخلاق الدين، وإلى الالتفاف حول المرجعيّة الدينيّة والقيادات النظيفة، وإلى التشاور وتداول الأمور بوعي وبصيرةٍ وحكمة، وإلى الحذر من كلّ الدسائس مع والمؤامرات والفتن الطائفيّة والمذهبيّة...

وبهذه المناسبة ونحن نعيش ذكرى الشهيد الصدر أودّ أن أطرح هذا المشروع، وكلّ أملي أن يتجاوب جميع المؤمنين مع

هذا المشروع، وإنّه جزءٌ من الدَّين الذي في أعناقنا جميعًا للشهيد الصدر رضوان الله عليه.

إنّكم تعلمون أيّها المؤمنون أنّ قبر الشهيد الصدر بقى مخفيًا ومجهولا ومنسيًا تاريخًا طويلا، فمنذ أن وقعت الجريمة النكراء في إعدام السيد الصدر على يد مجرم العراق صدام حسين، جاء جلاوزته بالجثمان الطاهر إلى النجف الأشرف، وحسب ما جاء في كتاب (شهيد الأمّة وشاهدها) للشيخ محمد رضا النعماني أنّه «في مساء التاسع من نيسان ١٩٨٠م، وفي حدود الساعة التاسعة أو العاشرة مساءً قطعت السلطة التيار الكهربائي عن مدينة النجف الأشرف، وفي ظلام الليل الدامس تسلّلت مجموعةٌ من قوات الأمن إلى دار المرحوم الحجّة السيد محمد صادق الصدر ﷺ، وطلبوا منه الحضور معهم إلى بناية محافظة النجف، وكان بانتظاره هناك المجرم مدير أمن النجف فقال له: هذه جنازة الصدر وأخته قد تمّ إعدامهما وطلب منه أن يذهب معهم لدفنهما فقال المرحوم السيد محمد صادق الصدر: لا بدّ لي من تغسيلهما.

فقال له مدير الأمن قد تمّ تغسيلهما وتكفينهما، فقال: لا بدّ من الصلاة عليهما، فقال مدير الأمن: نعم صلِّ عليهما وبعد أن انتهى من الصلاة قال له مدير الأمن: هل تحبّ أن تراهما؟ فقال: نعم فأمر الجلاوزة بفتح التابوت، فشاهد السيد الصدر رضوان الله عليه مضرجًا بدمائه وآثار التعذيب على كلّ مكان من وجهه، وكذلك كان حال

الشهيدة بنت الهدى (رحمهما الله) ثم قال له: لك أن تخبر عن إعدام السيد الصدر، ولكن إيّاك أن تخبر عن إعدام بنت الهدى، إنّ جزاءك سيكون الإعدام».

ولمّا حانت وفاة المرحوم السيد محمد صادق الصدر ﷺ أخبر عن شهادة بنت الهدى. وقد دفن السيد الصدر في مقبرة وادي السلام في النجف الأشرف وإلى جانبه أخته الطاهرة بنت الهدى في مكان أعرفه على نحو الإجمال.

هذا نص ما ذكره النعماني في كتابه وهو آخر من بقى مع الشهيد الصدر في فترة الحصار.

المساهمة في مشروع بناء ضريح الشهيد الصدر:

وهكذا دفن الشهيد الصدر في مقبرة الغريّ في حالةٍ من التعتيم والخفاء والإرهاب، وبقي مكان القبر مجهولاً إلا عند قلةٍ قليلةٍ من الناس لا تجرأ أن تتحدّث بذلك، وكان أحد المؤمنين ممّن شارك في دفن الشهيد الصدر قد قام بخطوةٍ جريئةٍ جدًا فبعد الدفن مباشرةً جاء في الخفاء ونقل الجثمان إلى مكانٍ آخر خوفًا عليه من عبث البعثيّين.

وهذا الإنسان هو الذي أخبر بمكان القبر بعد سقوط النظام وقد تمّ نقل الجثمان مرةً ثانيةً إلى حيث الموضع الحالي في أطراف مقبرة السلام في الاتجاه المؤدي إلى كربلاء، وآن الوقت أن يكون للشهيد الصدر قبره المعروف وضريحه المشهور، بما يتناسب ومكانة هذا

الإنسان العظيم، وهذا العالم الكبير، وهذا الربّانيّ المقدّس، وإذا كان لا بدّ أن يكون للشهيد الصدر قبره وضريحه ومقامه المتميّز، فليس من حقّ شخصٍ واحدٍ أو جماعةٍ معيّنةٍ أو أبناء العراق فقط أن يكون لهم شرف المساهمة في تشييد هذا المقام المبارك، وهذا الضريح المشرّف، إنّ من حقّ الأمّة كلّ الأمّة في كلّ مكان أن يكون لها شرف المساهمة وثواب المساهمة في بناء قبر الشهيد الصدر، وفي تشييد ضريح الشهيد الصدر ومقام الشهيد الصدر، فأنتم أيّها المؤمنون مدعوون جميعًا رجالا ونساءً شبابًا وشابات، كبارًا وصغارًا أن تساهموا في هذا المشروع، كلٌّ حسب إمكاناته وقدراته، وكما قلت لكم أنّ بإمكان تاجرٍ واحد، أو عددٍ محدود من التجّار أن يقوم بهذا المشروع ولهم الشرف الكبير في ذلك، إلا أنّ الشهيد الصدر كان لكلّ الأمّة، ومن حقّ كلّ الأمّة أن تساهم في بناء وتشييد مقامه وقبره المعظم، فالشرف كلّ الشرف لمن يحظى بهذه المساهمة وهذه المشاركة والثواب المذخور عند الله سبحانه كبيرٌ وكبير.

وفّق الله الجميع لهذا الشرف العظيم ولهذا الثواب الكبير.



أجيالنا في حاجة ماسّة وضروريّة أن تنفتح على مشروع الشّهيد الصدرﷺ

فما أحوجنا في هذه المرحلة التي نواجه فيها أخطر التحدّيات أن نستحضر الشهيد الصدر وأن نستحضر مشروع الشهيد الصدر، وأن نستحضر الشهيد الصدر، وفكر الشهيد الصدر، وروحانيّة الشهيد الصدر، وجهاد الشهيد الصدر.

الهيمنة الأمريكية على مقدّرات المسلمين:

إنّنا نعيش مرحلةً صعبة، مرحلة الهيمنة الأمريكيّة التي تستهدف كلّ وجودنا الدينيّ والحضاريّ، وتستهدف كلّ واقعنا الروحيّ والأخلاقيّ والثقافيّ والاجتماعيّ والسياسيّ والاقتصاديّ والأمنيّ والعسكريّ.

المسألة ليست - كما تزعم أمريكا - مسألة إسقاط نظام الاستبداد في العراق من أجل عيون الشعب العراقي، والمسألة ليست مسألة إزالة أسلحة الدمار الشامل، والمسألة ليست مسألة مكافحة الإرهاب، المسألة - في أهداف أمريكا الحقيقيّة - نفط العراق ونفط المنطقة بكاملها، المسألة ثقافة العراق وثقافة المنطقة بكاملها،

المسألة هوية العراق وهوية المنطقة بكاملها، المسألة إعادة صياغة خريطة المنطقة من جديد وفق المصالح الأمريكية ووفق المصالح الصهيونيّة.

حاجة الأجيال إلى التحصين والتأصيل:

وأمام هذا المشروع الاستعماري الخطير فانّ أجيالنا في حاجةٍ إلى (تحصينٍ وتأصيل)، كون هذه الأجيال مهدّدة بالمسخ والمصادرة والاستلاب روحيًا وأخلاقيًا وثقافيًا وحضاريًا.

ومن أهمّ مكوّنات (التحصين والتأصيل) أن تنفتح أجيال الأمّة على رموز الوعي والأصالة في تاريخ هذه الأمّة، ومن أبرز رموز الوعي والأصالة في تاريخنا المعاصر شهيدنا الكبير السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه الذي أعطى كلّ وجوده، وكلّ حياته من أجل الإسلام، ومن أجل صياغة الوعي والأصالة في حركة الأجيال، من أجل التصدّي والمواجهة لكلّ تيارات التغريب والعلمنة ولكلّ المبادئ والأفكار والنظريات والإيديولوجيات الضالّة والمنحرفة والكافرة، ومن أجل حماية قيم الأمّة وأخلاقيّاتها ومكوّناتها الأصيلة.

فهل تملك أجيالنا ثقافة المعرفة بالشهيد الصدر؟

سيرته، أخلاقه، مدرسته، عطاؤه، جهاده، أظنّ أن أغلب أبنائنا وبناتنا لا يملكون أيّ ثقافةٍ معرفيّةٍ عن الشهيد الصدر، أكثر من الاسم وبعض العناوين العامّة.

من المسؤول عن غياب الشهيد الصدر عن ثقافة الأجيال؟

يتحمّل هذه المسؤوليّة رجال الوعي والثقافة، وقادة المسيرة من علماء وخطباء ومفكرين، وأساتذة وتربويّين وسياسيّين، فهؤلاء جميعًا مسؤولون أن يضعوا بين يدي أجيالنا، (التجربة الكبيرة) للشهيد الصدر رضوان الله عليه، تجربته العلميّة والفكريّة والثقافيّة، وتجربته الروحيّة والأخلاقيّة والتربويّة، وتجربته في الدعوة والتبليغ، وتجربته في الحوزة والمرجعيّة، وتجربته في العمل الاجتماعيّ والسياسيّ والقياديّ.

أجيالنا في حاجةٍ ماسّةٍ وضروريّةٍ أن تنفتح على هذه التجربة الغنيّة، وأن تتغذّى من عطاءات هذه التجربة المباركة.

حياة السيد الصدر كلّها عطاء، كلّ من اقترب من حياة هذا الإنسان العظيم يعلم كم كانت حياته كلّها خيرًا وعطاء، كلماته عطاء، نظراته عطاء، حركاته عطاء هكذا كنّا نشعر ونحن نقترب منه، ونلتقي معه، ونستمع إليه، فلا يضمّنا مجلسٌ له إلا ونخرج ونحن أكثر قربًا إلى الله تعالى...

فما أحوج أجيالنا أن يطّلعوا على حياة هذا الرجل الكبير والعالم الربّانيّ الفذ.

أعداؤنا وأعداء ثقافتنا وأعداء ديننا، وأعداء وعينا وأصالتنا يحاولون دائمًا أن يفصلوا بين الأجيال ورموز الإيمان والهوية والأصالة، يحاولون دائمًا أن تغيب الرموز عن ذاكرة الأجيال، وفي

المقابل يزرعون في وعي الأجيال أسماء دخيلةً لا علاقة لها بهويّتنا الإيمانيّة والروحيّة والثقافيّة، وهكذا يبدأ مشروع التغريب لأجيال الأمّة، وهكذا تبدأ حركة الاستلاب الثقافيّ، مخترقةً كلّ مكوّنات الثقافة والإعلام والتربية...

أيّها الأحبّة يجب العمل الجاد من أجل أن تبقى رموزنا الإيمانيّة في ذاكرة أجيالنا من خلال:

١- إحياء ذكريات الرموز.

٢- التعريف الدائم بهذه الرموز في كلّ المناسبات.

٣- إحياء ونشر تراثهم الفكريّ والثقافيّ والعلميّ.

٤- إقامة المؤتمرات والمهرجانات التي تُأصّل وجودهم.

٥- اعتماد أسمائهم وإطلاقها على المدارس والحوزات والمؤسّسات والجمعيات والمكتبات والمساجد والحسينيات.

٦- اعتماد الملصقات والصور ممّا يكرّس حضورهم الدائم في الذاكرة.

وإذا كنا نؤكّد على حضور الرموز الإيمانيّة في ذاكرة الأجيال، فإننا نؤكّد ثانيًا على ضرورة حضور الرموز الإيمانيّة في وجدان الأجيال.

وماذا يعني حضور الرموز في الوجدان؟

أن نعيش الانصهار والذوبان الروحيّ والعاطفيّ مع الرموز، وبتعبيرٍ آخر أن تكون علاقتنا مع الرموز علاقة حبٍّ وعشق، فلا يكفي

الحضور في الذاكرة، ولا يكفي الحضور في العقل إذا لم ينفتح القلب والوجدان وإذا لم تنفتح الروح والعاطفة، ومن خلال هذا الانفتاح تتكوّن حرارة التواصل وحرارة الارتباط، وإلا كان التواصل باردًا، والارتباط فاترًا، والعلاقة خاملة.

ونؤكّد ثالثًا أن يكون للرموز حضورٌ في السلوك والحركة والعمل، وأن يكون للرموز حضورٌ في كلّ الواقع الروحيّ والثقافيّ والاجتماعيّ والسياسيّ، وتأسيسًا على هذه التأكيدات الثلاثة يجب أن نعطي لشهيدنا السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه ولشهيدتنا السيدة بنت الهدى شقيقة السيد الصدر وشريكته في العطاء والجهاد والشهادة أن نعطي لهما حضورهما في ذاكرة الأجيال وفي وعي الأجيال، وحضورهما في وجدان الأجيال، وحضورهما في حركة الأجيال.

إنّ ولاءنا لشهيدنا الصدر يفرض علينا أن نصرّ على العمل من أجل تأصيل هذا الحضور بكلّ مستوياته، إذا كنّا الأوفياء الصادقين لهذا الإنسان العظيم الذي أعطى دمه الزكي ثمنًا لكرامتنا وعزّتنا وحياتنا ووجودنا، فمن الوفاء أن نقرأه، أن نتعرّف على حياته، أن نستلهم سيرته، أن نتربّى من خلال مدرسته، أن نتعلّم منه كيف نكون حملة رسالة، وأصحاب مبدأ، وأنصار عقيدة، ودعاة قيم، وعشاق شهادة.

المؤلفات التي كُتبت عن حياة الشهيد الصدر:

ورغم ما صدر عن الشهيد من كتابات ودراسات إلا أنّ شخصيةً كما هي شخصية السيد الصدر لا زالت في حاجةٍ إلى الكثير الكثير من الدراسة والبحث، ولا زالت في حاجةٍ إلى الكثير الكثير من الاستكشاف والاستنطاق.

وهنا أؤكد على الشباب والشابات أن يقرأوا الشهيد الصدر من خلال كتاباته ونتاجاته وهي كثيرةٌ ومتنوعة، وذات مستوياتٍ متعدّدة، فليقرأ كلٌّ شهيدنا الصدر على حسب مستواه وثقافته، فكتابات الشهيد الصدر قادرةٌ أن تغني كلّ المستويات.

كما أؤكّد على الشباب والشابات أن يقرأوا الشهيد الصدر من خلال كتابات الباحثين والدارسين الذين تناولوا العديد من جوانب شخصيته، وقد يتساءل شبابنا وشابّاتنا عن بعض الكتابات التي تناولت حياة الشهيد الصدر، فأحاول هنا أن أضع نماذج لهذه الكتابات:

١- الإمام الشهيد محمد باقر الصدر: دراسةٌ في سيرته ومنهجه، المؤلف السيد محمد الحسيني.

٢- الشهيد الصدر: سنوات المحنة وأيام الحصار - عرض لسيرته الذاتيّة وسيرته السياسيّة والجهاديّة، المؤلف الشيخ محمد رضا النعماني.

٣- شهيد الأمّة وشاهدها دراسة وثائقيّة لحياة وجهاد الإمام

الشهيد السيد محمد باقر الصدر، الكتاب يتألف من جزئين، الأول يتناول حياته الشخصية والعلميّة، والثاني يتناول حياته السياسيّة والجهادية، المؤلف الشيخ محمد رضا النعماني (ولعلّ هذا الكتاب هو نفسه كتابه الأول مع إضافات).

٤- مدرسة الشهيد الصدر الأخلاقيّة أصولها وخصائصها، المؤلف الأستاذ عادل القاضي.

٥- فلسفة الصدر، دراساتٌ في المدرسة الفكريّة للإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، المؤلف الدكتور محمد عبد اللاوي - جامعة وهران - الجزائر.

٦- مقدمة كتاب مباحث الأصول، تناولت هذه المقدمة دراسةً تحليليّةً مستفيضةً لحياة الشهيد الصدر، بقلم تلميذه سماحة أية الله السيد كاظم الحائري.

٧- هكذا قال الصدر (في المحنة وحبّ الدنيا) بقلم ميثم الجاسم.

٨- محمد باقر الصدر: دراساتٌ في حياته وفكره، بأقلام نخبة من الباحثين.

٩- السيد محمد باقر الصدر: دراسة في المنهج، المؤلف نزيه الحسن.

١٠- محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، يتألف من خمسة أجزاء، المؤلف أحمد عبد الله أبو زيد العاملي.

هذه إشارةٌ إلى نماذج من بعض الكتابات التي تعرّفنا جانبًا من حياة الشهيد الصدر، هذا الرجل العظيم الذي قال عنه الإمام

الخميني رضوان الله عليه في بيانه التاريخي حيث أعلن عن استشهاد الإمام السيد الصدر وأخته المظلومة بنت الهدى، أنّه «من مفاخر الحوزات العلميّة، ومن مراجع الدين، ومن مفكري المسلمين» كما قال عن الشهيدة بنت الهدى أنّها «من أساتذة العلم والأخلاق ومفاخر العلم والأدب».

وقال الإمام الخميني أنّهما «قد نالا درجة الشهادة الرفيعة على أيدي النظام البعثي العراقي المنحط وذلك بصورة مفجعة».

قراءةٌ في كتاب الحقّ المبين:

أيّها الأحبّة: ونحن في سياق الحديث عن الكتابات التي تناولت حياة الشهيد الصدر، أجد نفسي مضطرًا أن أقف مع كتابٍ صدر مؤخرًا في مدينة قم المقدسة، الكتاب بعنوان (الحق المبين في معرفة المعصومين) تصدّر الكتاب تمهيدٌ تناول الاتجاهات المعاصرة في فهم النّبيّ وآله ﷺ، وقد أحدثت هذه المقدمة التمهيديّة ردود فعلٍ عنيفةً على المستوى العلمائيّ وعلى المستوى الجماهيريّ، وصدرت بياناتٌ وتصريحاتٌ شاجبةٌ ومستنكرةٌ لما ورد في هذه المقدّمة ممّا اعتبرته هذه البيانات والتصريحات إساءةً كبيرةً للشهيد الصدر، وإساءة إلى فكره وخطه ومدرسته، بما تحمله من شبهاتٍ حول منهج السيد الصدر في دراسة الأئمّة المعصومين، وبما تحمله من اتهاماتٍ لفهم السيد الصدر في قراءة النّبيّ وآله صلوات الله عليهم أجمعين بأنّه فهمٌ التقاطيّ ومتأثرٌ بالفكر السنّي وأحيانًا بالفكر الغربي.

وفور صدور المقدمة المذكورة أصدر سماحة آية الله السيد كاظم الحائري بيانًا أعلن فيه الحداد بتعطيل الدراسة الحوزويّة احتجاجًا على نسبة التشيّع الالتقاطيّ إلى الشهيد الصدر تغمّده الله برحمته، إلا أنّ سماحته ألغى إعلان الحداد على أثر صدور اعتذارٍ من صاحب المقدّمة بأنّه ما كان يقصد الإساءة للشهيد الصدر، وإنّ نسبة الانحراف والالتقاط إلى السيد الصدر كان اشتباهًا منه في التعبير، كما أعلن سحب مقدّمة الكتاب، ورغم صدور الاعتذار فإنّ البيانات والاحتجاجات استمرّت على اختلاف في لغتها ولهجتها، اكتفى بعضها بالتأكيد على أصالة نهج الشهيد الصدر ونقاوة فكره، ومتانة برهانه، وصعد البعض الاستنكار والاحتجاج، وطالب آخرون بمحاكمة صاحب المقدّمة...

وكم تمنيننا أن لا تنزجّ ساحتنا في هذه المرحلة الصعبة، في هذه التوترات، وفي هذه المواجهات توفيرًا للجهود والطاقات والقدرات، وكم تمنينا أن لا يصدر من شخصٍ محسوبٍ على مدرسة الشهيد الصدر كما هو أخونا الشيخ الكوراني ما يوجب هذه الإثارات والتوتّرات...

لا نرفض مبدأ النقد والمناقشة للأفكار والنظريّات والآراء، إلا أنّ لغة الاتهام والطعن غير مقبولةٍ وخاصةً لإنسانٍ عظيمٍ كالشهيد الصدر يعدّ من أعظم مراجع المسلمين، وأبرز المفكرين في هذا العصر.

وأخيرًا نتمنّى أن لا يكون سماحة الشيخ الكوراني قاصدًا الإساءة إلى الشهيد الصدر، وأنّ ما صدر منه من بعض الكلمات كان اشتباهًا في التعبير حسب ما جاء في اعتذاره.

فما أحوجنا في هذه المرحلة أن نحافظ على رموزنا الكبيرة في مواجهة التحديات التي تهدد وجودنا الإيمانيّ، وتهدد أصالتنا وهويّتنا وانتمائنا.

خواطر وذكريات

منذ كنت طالبًا في المرحلة الثانويّة بدأت أقرأ للسّيد محمد باقر الصدر، المفكّر والفقيه والعالم الربّانيّ.

ولا يملك من يقرأ له إلا أن يكون مأسورًا إليه..

ولا يملك من يسمع عنه إلا أن يكون مشدودًا إليه..

وهكذا أحسستُ وأنا أقرأ له أني مشدودٌ إليه كلّ الإنشداد، ومأسورٌ إليه كلّ الإنئسار... وهكذا أحسستُ أني أحبّه كلّ الحبّ..

وكم كانت فرحتي كبيرةً وكبيرة يوم قررتُ الهجرة إلى النجف الأشرف؛ لأني سوف ألتقيه، سوف أنظر إليه، سوف أجلس بين يديه...

وبمقدار ما كان شوقي إلى أرض أمير المؤمنين قد ملك كلّ مشاعري في ذلك الوقت، إلا أنّ اللقاء مع السّيد الصدر كان أمنية الأمنيّات..

واكتحلَت عيناي بالنظر إلى قبة أمير المؤمنين وبقيت أمنية اللقاء معه تتحرّك في داخلي، تنتظر اللحظة التي أجلس فيها بين يديه...

وتحقّق الأمل الكبير، قبّلت بكلّ حبٍّ يده الطاهرة، ملئت بالنظر إليه كلّ أشواقي وما ارتويت وما ارتويت...

اللقاء الأول:

في اللقاء الأول كنت مأسورًا لمشاعر وأحاسيس لم تسمح لي أن أتأمّل في كلماته، كنت مأخوذًا بأجواء هذا اللقاء – الحلم – ومغمورًا بإشعاعاته وما أحسست بالزمن، ومرّت اللحظات عجلى، ودّعتُه وقد لامَست جفوني قطراتٌ من دموع..

وبقيت مشدودًا إلى العودة.. وهكذا من يلتقيه لا يملك إلا أن يبقى مشدودًا إليه، وإلى روحانيته المتدفقة، وإلى بسماته المملوءة بالحبّ، وإلى كلماته الحانية، وإلى أخلاقه الربّانيّة، وإلى تواضعه الذي يأسر القلوب.

اللقاء الثاني:

وكان اللقاء الثاني.. وحاولت أن أملك بعض إرادتي لأتحدّث معه وجاءت الكلمات متعثرة، كيف أجرأ وأنا ابن العشرين أن أتحدّث مع عملاق الفكر والفقه، إلا أنّه كان يزرع الثقة والجرأة لدى محدّثيه وإن كانوا صغارًا وشبانًا، بدأت أحسُّ بشيءٍ من القدرة، فرحت أبوح ببعض ما في داخلي من مشاعر وإن كانت خجلى، وبدأت أملك جأشي وأنا أصغي لشيء من كلماته وإرشاداته الروحيّة والأخلاقيّة والتربويّة...

وهكذا استمرت زياراتي إلى مجلسه في منزله الذي كان واقعًا في شارع الخورنق المؤدّي إلى باب الولاية، وقبل أن ينتقل السّيد الصدر إلى بيت الشيخ عبد الله المامقاني في محلّة العمارة وذلك في أوائل السبعينات الميلاديّة...

لا زلت أتذكّر بركات تلك الزيارات، كان مجلسه مجلس فقه، وعلم، وثقافة، وأخلاق، وتوجيه، وبناء، كانت تطرح عليه الأسئلة في شتى المجالات العقيديّة والتاريخيّة والقرآنيّة والفقهيّة والروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة..

وقد كنت – في ذلك الوقت – رغم كوني في بدايات أشواطي الحوزويّة، أسجّل في دفترٍ خاصٍ بعض تلك الإجابات فيما أملك القدرة على استيعابه وقد أسفت كثيرًا على فقد هذا الدفتر...

وفي أحد الأيام طلبت منه أن يقدّم لي نصيحة توجّهني في هذا الطريق – طريق الدراسة الحوزويّة – فأجابني بكلّ حنانٍ وحبٍّ وتواضع، وبدأ يتحدّث مؤكدًا أنّ هذا الطريق هو طريق السائرين في خطّ الأنبياء والأئمّة والعاملين والمجاهدين، فيجب على السالكين لهذا الخط أن يتّصفوا بدرجاتٍ عاليةٍ من الروحانيّة، وأخلاق الدين، والتقوى والورع، كما أكّد على أهمية البعد العلميّ والثقافيّ، وكذلك البعد الرساليّ بما يعنيه هذا البعد من توظيف لكلّ الإمكانات والقدرات العلميّة والفكريّة والنفسيّة والعمليّة في خدمة الإسلام، والدفاع عن الشريعة والحفاظ على دين النّاس.

كان السّيد الصدر يحمل كلّ الهمّ من أجل إعداد طلبة الحوزة إعدادًا يؤهلهم لتحمّل مسؤوليات الدعوة والتبليغ والإنذار الذي أكّد عليه النص القرآنيّ ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

وقد بدأ هو بنفسه فكان «المثل والقدوة والنموذج»...

من أبرز صفاته «اهتمامه الكبير بأوضاع المؤمنين في كلّ مكان» كانوا همّه الدائم.

أتذكر أنّه كان يسألنا دائمًا عن أوضاع البلد – يعني بلدنا البحرين – الأوضاع الدينيّة والأخلاقيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسّياسية وأوضاع العلماء والخطباء والعاملين الإسلاميّين، وأوضاع الناس وحاجاتهم وهمومهم وقضاياهم، بل كان يطلب منّا أن نزوّده بالصحف والمجلات الصادرة في البلد ليطّلع على مسار الأحداث وشؤون المؤمنين.

حتى أنّه لما حدثت بعض التغيرات السّياسيّة في بداية السبعينات، وأعلن عن المجلس التأسيسيّ والوطني، كان رأي السّيد الصدر أن يتصدّى المؤمنون للمشاركة، وقد استشرناه في العودة من أجل المساهمة في العمليّة السّياسية والدخول في الانتخابات، فأكّد لنا ضرورة الحضور في هذه المرحلة كونها تشكّل منعطفًا جديدًا، وحتى لو لم يكن هناك تأثير إلا أن يرتفع صوت الدين في هذه المواقع، هكذا

---

(١) التوبة:١٢٢.

كانت اهتماماته الكبيرة بأوضاع المؤمنين...

عندما كنّا نودّعه عائدين في العطل الحوزويّة، يزوّدنا بالكثير من النصائح والتوجيهات، ويطلب منّا أن نكون دعاةً ومبلغين وعاملين في خدمة الدين، وأن نكون القدوة والمثل للآخرين، وأن لا نعيش حياة الكسل والاسترخاء.

قطعنا شوطًا من الدراسة في كلّية الفقه التابعة لمنتدى النشر، والتحقنا ببعض دروس السطوح في الحوزة، وعندها استشرنا السّيد الصدر في أن نلتحق بدروسه الفقهيّة والأصوليّة -دروس الخارج- فأذن لنا بذلك وهكذا بدأنا مشوارًا جديدًا في العلاقة معه..

ورغم أنّ هذه الدروس الاستدلاليّة تَضّم مستوياتِ عاليةٍ من طلاب وتلامذة الشهيد الصدر، وما كنت - وهنا أتحدّث عن نفسي- مؤهّلا أن أكون في مصافّهم، إلا أنّ التشجيع الذي حظينا به من سماحته، خلق لدينا الثّقة والاعتزاز بهذا الانتماء والانتساب...

وقد كانت هذه الدروس المباركة فرصةً طيبةً للتعرّف على أبرز تلامذة الشهيد الصدر، وقد تكوّنت معهم علاقات حميمة ووثيقة رغم الفارق الكبير في السن والمستوى...

ولا زالت هذه العلاقات مع الباقين منهم قائمة وقويّة...

من هؤلاء العلماء الأجلّاء الكبار:

- آية الله الشهيد السيد محمد صادق الصدر.
- آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم.
- آية الله السّيد كاظم الحائري.
- آية الله السيد محمود الهاشمي.
- آية الله السّيد نور الدين الأشكوري.
- آية الله الشيخ محمد علي التسخيري.
- آية الله الشيخ إبراهيم الأنصاري.
- آية الله الشيخ السلطاني.
- آية الله الشيخ الصالحي.

وآخرون كثيرون من العلماء والفضلاء.

من ذكريات مجلس السّيد الصدر:

في واحدةٍ من الجلسات الخاصة، دار حديثٌ ساخنٌ حول الوضع في العراق، واشتداد الهيمنة البعثيّة على مقدرات الشعب، والهجمة الشرسة على الحوزة والمرجعيّة الدينيّة....

في هذا الجو الساخن من الحديث، قال السّيد الصدر كلامًا لا زلت أنكر مضمونه خلاصته:

«إنّ هؤلاء - يعني البعثيّين - في حاجةٍ إلى تضحيةٍ كتضحية الإمام الحسين عليه السلام، وأنا على استعدادٍ أن أعطي دمي، إلا أنّ إعطاء الدم لكي يؤدّي هدفه يحتاج إلى شرطين:

الشرط الأول:

أن يكون هناك دعمٌ وتأييدٌ ومباركةٌ من قِبل كبار المراجع... وإلا فلو جاء من يقول أنّ محمد باقر الصدر ألقى بنفسه في التهلكة فَقَد هذا الدم قيمته وأثره في الأمّة.

الشرط الثاني:

أن يأتي من يستثمر هذا الدم، من أجل أن يحقّق أهدافه وعطاءاته، وإلا ضاع الدم، وفشلت مهمّته..».

ولعلّ هذا هو الذي تبلور بعد ذلك في (مشروع الخطاب) الذي يلقيه السّيد الصدر في الصحن الحيدريّ يعلن فيه المواجهة مع النظام، ونتيجة هذا الموقف «الشهادة» وقد بعث السّيد الصدر أحد المقربين لديه إلى مرجعين كبيرين في النجف للتعرّف على رأيهما حول هذا الموقف، ويبدو أنّ الجواب كان سلبيًا، فاعرض السّيد الصدر عن هذه الخطوة حيث لم يتوفّر الأمر الأول وهو دعم وتأييد المراجع الكبار...

لم تنقطع توجيهات السّيد الصدر رضوان الله عليه بعد مغادرتنا للنجف الأشرف لم تنقطع توجيهات السّيد الصدر ورعايته، فكان يتفقّد عملنا، ويراقب أداءنا الدينيّ والتبليغيّ، ويدفع بأنشطتنا في اتجاه التطوّر والارتقاء..

كانت المراسلات مستمرّة فيما هي الاستفتاءات، والاستشارات، واطلاع السّيد على مسار الأمور في مناطق التبليغ والعمل.

كنت أملك مجموعة من هذه الرسائل إلا أنّها فقدت في زحمة التنقّلات والأسفار والملاحقات ويمكن أن أشير هنا إلى بعض تلك المراسلات كما عثرت عليها مدوّنة في كتاب (محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق) تأليف أحمد عبد الله أبو زيد العاملي.

الرسالة الأولى:

البحرين في ١٣٩٦/٣/٢٣هـ

رسالةٌ أرسلت إلى آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر تضمّنت إرسال مبلغٍ من الحقوق الشرعيّة ومجموعةٍ من الاستفتاءات الشرعيّة، أجاب عنها سماحته وختم الجواب بقوله: **«هذا وأسأل المولى القدير سبحانه وتعالى أن يسدّدكم ويرعاكم بعينه التي لا تنام، ويقرّ عيني بكم، وإني أحاول باستمرار تفقّد أحوالكم، والاطّلاع على استقراركم، وقد وصل المبلغ المذكور، نسأل الله عزّ وجلّ لكم القبول رعاكم الله وأعزّ بكم، والسّلام عليكم وعلى سائر أولادنا الأعزاء وعموم المؤمنين».**

انظر: الوثيقة ٣٠١، الجزء الخامس ص٣١٢

الرسالة الثانية:

أبو ظبي في ١٦ رجب ١٣٩٦هـ

أُرسلت إلى آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر تضمّنت مجموعة استفتاءات شرعيّة أجاب عنها سماحته، وختم الجواب بقوله: «**قد أرسلنا إليكم إجازةً عامّة قبل شهرين تقريبًا ولكن المؤسف أنّها لم تصلكم، وسوف تجدون في جوف هذه الرسالة إجازةً بالنحو المطلوب**».

انظر: الوثيقة ٣٣٠، الجزء الخامس ص٣٤١

الرسالة الثالثة:

أبو ظبي...............

أُرسلت إلى آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر.. جاء فيها بعد التحيّة: «فقد تسلّمت الوكالة الأخيرة، كما وصلتني الوكالتان السابقتان، وبناء على طلبكم فإني أرسل الوكالتين الأوليين مع حامل هذه الرسالة وهو الوجيه الحاج محمد تقي آل سيف، قبل أيام بعثت رسالة بريديّة تتضمّن بعض الاستفتاءات فأرجو أن تكون قد وصلتكم، وقد طلبت فيها إرسال بعض النسخ من (موجز أحكام الحج)، وهنا أكرر تلك الأسئلة لاحتمال أنّ الرسالة لم تصلكم...».

وقد أجاب سماحته على الأسئلة.

انظر: الوثيقة ٣٣١، الجزء الخامس ص٣٤٢

الرسالة الرابعة:

أبو ظبي أواخر شعبان ١٣٩٦هـ

أرسلت إلى آية الله العظمى السّيد محمد باقر الصدر فكان جوابه: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ... ولدنا المبجّل ثقة الإسلام السّيد عبد الله الغريفي حفظه الله تعالى ورعاه بعينه التي لا تنام...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تسلّمت قبل فترةٍ رسالتكم الكريمة المؤرّخة بأواخر شعبان مع المبلغ الذي حولتموه إلينا بتوسط الوجيه المكرم الحاج داود العصفور أدام الله توفيقه، وسرّني الاطّلاع على أحوالكم واستقراركم، وإني أولي أهمّيةً كبيرةً للمنطقة التي حللتم فيها لأنّها لا تزال تحتفظ بقدرٍ كبيرٍ من التمسّك بالدين والأخلاق والآداب، ومن ناحيةٍ أخرى تتعرّض لهزّةٍ وتحوّلٍ كبيرين بحكم انفتاحها على العالم من أوسع أبوابه فلا بدّ من الاهتمام بتركيز الدعائم الدينيّة والروحيّة في نفوس أبناء البلاد من الآن، وقد شكرت لولدنا الفاضل السيد محمد الموسوي حفظه الله اهتمامه ودعمه لوجودكم، وشعوره بالمسؤوليّة الدينيّة.

أمّا فكرة إنشاء حوزة علميّة في تلك المنطقة فهي فكرةٌ صحيحةٌ ومهمّةٌ ونحن حاضرون لإسنادكم في ذلك إيمانًا منّا بأنّ النجف بحاجةٍ إلى حوزاتٍ موضعيّةٍ من هذا القبيل في كلّ منطقة تجسّد رسالتها وروحيّتها في تلك المنطقة من ناحية، وتهيئ للنجف

الناضجين للمرحلة التالية، نسأل الله المولى سبحانه أن يسدّدكم ويأخذ بيدكم...

وصلتنا رسالتكم البريديّة وتحتوي على استفتاءات وقد كتبنا جوابها في البريد، كما أرسلنا لكم وكالةً بالنحو الذي طلبتموه...

وقد صدر كتاب الفتاوى الواضحة وسنرسل إليكم نسخةً مع هذه الرسالة إن شاء الله تعالى هذا والسلام عليكم وعلى السّيد الموسوي وعلى سائر المؤمنين ورحمة الله وبركاته».

٢٣ شهر رمضان ١٣٩٦هـ محمد باقر الصدر

انظر: الوثيقة ٣٤٦، الجزء الخامس ٣٥٨

الرسالة الخامسة:

أبو ظبي في ٢٢ شهر رمضان ١٣٩٦هـ

أُرسلت إلى آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر وجاء جواب سماحته:

«بعد السلام عليكم والدعاء لكم بدوام التسديد والتأييد..

تسلّمت رسالتكم العزيزة المؤرخة بالثاني والعشرين من شهر رمضان المبارك، وسرّني الاطلاع من جديد على أحوالكم واستقراركم نسال الله سبحانه أن يُسبغ عليكم من ألطافه وعناياته ما يسبغه على عباده الصالحين..

إلى أن قال سماحته في آخر رسالته:

أرسلت إليكم نسخة من الفتاوى الواضحة مع الحاج داود، ولكن على أساس طلبكم في رسالتكم الكريمة الأخيرة سأرسل إليكم نسخة أخرى بيد حامل رسالتكم أيضًا إن شاء الله تعالى...

هذا والسلام عليكم وعلى من حولكم من أولادنا المؤمنين خصوصًا السّيد الموسوي ورحمة الله وبركاته»

انظر: الوثيقة ٣٤٧، الجزء الخامس ص٣٥٩

الرسالة السّادسة:

أبو ظبي ١٣٩٧/١/٢٩هـ

أرسلت إلى آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر تضمّنت مجموعة استفتاءات وقد أجاب عنها سماحته...

انظر: الوثيقة ٣٩٦، الجزء الخامس ص٤٠٢

الرسالة السّابعة:

أبو ظبي في ١٣٩٨/١٠/١٢هـ

أرسلت إلى آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر تضمنت مجموعة استفتاءات وقد أجاب عنها سماحته....

انظر: الوثيقة ٥٠٤، الجزء الخامس ص٤٩٢

الرسالة الثامنة:

أبو ظبي في ١٠/٢/١٣٩٩هـ

أُرسلت إلى آية الله العظمى الإمام السيّد محمد باقر الصدر، تضمنت مجموعة استفتاءات من جملتها هذا الاستفتاء:

«أرجوا أن توضّحوا رأيكم في الأوراق النقديّة والسلع التجاريّة من حيث الزكاة، فالذي يُشمّ من تعليقكم في المنهاج في أبواب الزكاة أنّكم تميلون إلى القول بوجوب الزكاة فيها».

وجاء جواب سماحته كما يلي:

«نحن نميل إلى زكاة اقتضائيّة من حقّ الحاكم الشرعي جعلها فعليّة».

وقد عبّر سماحته في رسالته الجوابيّة عن مدى رعايته واهتمامه بتوجيه وكلائه وزرع الثّقة فيهم حيث قال:

« عزيزنا المُعظّم العلّامة الجليل السّيد عبد الله الغريفي دامت بركاته..

وبعد فقد تسلّمت بكلّ اعتزاز رسالتكم الكريمة مع السيّد وِتْوتْ الذي كان لسانًا يلهج بالثناء عليكم كما هو العادة في كلّ من يتعرّف عليكم من الخيّرين، وقد سرّني الإطلاع على أحوالكم وصحتكم الغالية كما سرّني اهتمامكم المسؤول بالمنطقة ورعايتها...».

انظر: الوثيقة ٥٢٢، الجزء الرابع ص١٥ – ١٦

الرسالة التاسعة:

أبو ظبي في ١٣٩٩/٥/٥هـ

أرسلت إلى آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر تضمّنت الاستفتاءات التالية:

١- الإيداع والاقتراض من البنوك:

أ- الحكوميّة المسلمة.

وكان جواب سماحته: «**يجوز الإيداع بنيّة الحفظ، ويُطبّق على المأخوذ من أصل المال أو فوائده حكم مجهول المالك، ويجوز الاقتراض بنيّة القرض الحسن بإجازة الحاكم الشرعي**».

ب - الأهليّة المسلمة.

وكان جواب سماحته: «**لا يجوز ذلك**».

ج-المختلطة أهليّة وحكوميّة...

وكان جواب سماحته: «**يلحق كلًا من الوضعين الرسمي والأهلي حكمه**».

د- البنوك الكافرة.

وكان جواب سماحته: «**يجوز الإيداع وأخذ الفائدة، ولا يجوز الاقتراض بفائدة، ولكن يجوز الأخذ بنيّة التملّك المطلق ولو اعتبره الكافر قرضًا**».

٢- طلب توضيح معنى الزكاة الاقتضائيّة في الأوراق النقديّة....

وكان جواب سماحته: «نعني بذلك أنّ الزكاة من حيث الأساس قابلة للإجراء شرعًا على كلّ الأموال، وقد تُرك لولي الأمر الحاكم الشرعي الحكم بفعليّة الإجراء، ونحن لا نحكم بذلك في الوقت الحاضر».

انظر: الوثيقة ٥٤٤، الجزء الخامس ص٥٢٦

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.